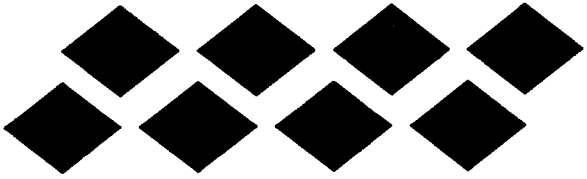

مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

دون كيخوته في ذاكرة الإبداع العربي المعاصر

د . منى ربيع بسطاوى
الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية
كلية الآداب بقنا

أبحاث

دون كيخوته في ذاكرة الإبداع العربي المعاصر

د. منى ربيع بسطاوى

عرّف معجم اللغة الإسبانية الذى تصدره الأكاديمية الملكية الإسبانية للغة فى طبعته الحادية والعشرين – كلمة – كيخوته على النحو التالى :

" رجل يقدم مبادءه على مصلحته الشخصية ، وعامل لا يهدف إلى تحقيق منفعة خاصة ، بل يهدف – على طول الخط – إلى الدفاع عن القضايا التى يعتقد أنها عادلة ، ولكن دون أن يستطيع تحقيق هدفه " . (١)

وقد احتلت رواية دون كيخوته منذ بدايات القرن العشرين مكانًا مرموقا فى النشاط الأدبى والنقدى أجمع ... تلك الرواية التى وصفها مترجمها الأهم إلى العربية د. عبد الرحمن بدوى ، قائلاً : " دون كيخوته رمز النبالة الساعية فى خير الإنسانية ولكن وسائلها العاجزة لا تستطيع تحقيق أمانيها ، ورمز للمثل الأعلى الإنسانى ، الذى دائمًا يصطدم بالواقع الكالح فينتهى بالإخفاق . (٢)

بداية يجدر بنا أن نشير إلى أن هذه الدراسة ترتكز على محورين أساسيين ، أما الأول منهما فيدور حول كيف تعرف المبدع والقارئ العربي على شخصية دون كيخوته ؟ وهذا ما نحاول توضيحه من خلال تقديم عرض سريع لمختلف الترجمات العربية ، والدراسات والأبحاث التحليلية ، التي قام بها النقاد والأدباء العرب ، حول هذه الشخصية الأدبية الإسبانية ، حتى نتمكن من التعرف على أهم السبل التي أدخلت دون كيخوته في الأوساط الثقافية العربية ، إلي أن أصبحت شخصية مشهورة ذائعة الصيت في عالمنا العربي .

أما المحور الثاني من الدراسة فيرتكز حول الطرق التي ساعدت الأدب العربي بعد أن تعرف عن كثب على هذه الشخصية الشهيرة ، وعلى القيمة الرمزية التي تتمتع بها شخصيتها الرئيسية دون كيخوته ، أن يخطو خطوة جديدة في أن يستخدم في العديد من الأعمال والمناسبات هذه الرمزية المُثلى التي تعنيها شخصية الفارس المقدام ، وذلك من خلال النماذج التي سنطرحها ، والتي نوضح من خلالها مقدرة الأدباء العرب على تطبيق هذا النموذج العالمي في الإبداع .

ولكن يجدر بنا قبل الشروع فى عرض هذين المحورين ، أن نتوقف برهة عند علاقة دون كيخوته بالعربية ، وخاصة إذا علمنا أن هذه العلاقة ليست بعيدة عن عالمنا العربى ، بل تحاذيه وتتقاطع معه مراراً ، ويكفى أن نذكر أن ثربانتس نقل حكايات بطله

---

(١) د. بلين خواريث : " دون كيشوت : لغته هويتنا ونحن أبناؤه " ، انظر الموقع الإلكترونى : *http://www.imezran.com,13-5-2006*

(٢) د. هاتف الجنابى : " دون كيخوته " ، انظر الموقع الإلكترونى : ٢٠٠٥/١٢/٢١ *http://www.aawsat.com*

على لسان راو عربى أندلسى هو سيدى حامد بن إنجيلين كما تسميّه الترجمات العربية الأربع . (١)

كما أفادت عدة مراجع نقدية بأن دون كيخوته ليست سوى ترجمة محرّفة لنص كتبه المؤرخ العربى ابن إنجليين ، وقد ورد ذكر هذا الأديب العربى فى حفنة من المؤلفات اللاتينية التى سبقت طباعة الرواية ، لكن ما من أحد حاول العثور على أصل النص العربى ، الذى يرجح اقتباس رواية دون كيخوته منه وإن كان ثربانتس نفسه أشار فى مقدمة الرواية إلى : " أن مغامرات دون كيخوته كُتبت أصلاً باللغة العربية على يد كاتب عربى ، وأن روايته هى ترجمة حرفية قريبة من النص العربى " . (٢)

وترى مجموعة من الباحثين الفرنسيين أن ثربانتس : " استطاع تمثيل فكرة إنجليين بشكل شاعرى ، وتضمين قصص داخل القصة الأم – على غرار أسلوب ألف ليلة وليلة لتنسجم مع العصر المتقلب الذى عايشه الروائى الإسبانى " . (٣)

وعند مطالعة فصول الرواية تجد أن روعتها تتجلى فى مقدرة ثربانتس على خلط شعره ونثره مع شعر الآخرين ونثرهم ، وكذلك عبر حشو النص بالمراسلات والإهداءات المضللة لأبطال الأدباء الآخرين ، والموجهة إلى دون كيخوته ، ودولثينيا ، وسانشوبانثا ، وحتى إلى الحمار روثينانتى ، ويشير أحد الباحثين إلى " أن السمة الغالبة فى الرواية هى مقدرة الكاتب على التلاعب بالقارئ ، وفى هذه الأثناء تنقسم شخصية الكاتب ، فهو ثربانتس من ناحية ومن ناحية أخرى هو شخصية من أسلاف المؤرخ العربى سيدى حامد بن إنجليين الذى يمزج ثربانتس نصه الإسبانى مع المؤرخ العربى نفسه " . (٤)

---

(١) السيد العبقرى دون كيخوته دى لامنتشا : ترجمة : د. عبد العزيز الأهوانى ، مراجعة : د. حسين مؤنس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٧م . (وهى ترجمة غير كاملة احتوت على النصف الأول فقط من الرواية ، وبقى النصف الثانى غير مترجم) .

- دون كيخوته : ترجمة : د. عبد الرحمن بدوى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٥م . (وهى ترجمة كاملة وجاءت فى مجلدين) .
- الشريف العبقرى دون كيخوته دى لامنتشا : ترجمة : د. سليمان العطار ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٢م .
- ميغل دى ثربانتس ، دون كيخوت دِ لامنتشا ، ترجمة : د. رفعت عطفة ، دمشق ، ٢٠٠٢م .

(٢) دون كيخوته : ترجمة : د. عبد الرحمن بدوى ، جـ٢ / ص١٥ .

(٣) هدى أنتينا : ثربانتس وشكسبير ، اعترافات متبادلة ، انظر الموقع الإلكترونى :
http://www.tawra alwehda.gov.sy

(٤) فيراسافيلفيا : النبيل البارع دون كيخوته دى لامنتشا ، انظر الموقع الإلكترونى : ٢/١١/٢٠٠٦م
http://www.maaber.50megs.com

وعن علاقة ثربانتس بعالمنا العربى نشير إلى ما ذهب إليه د. مؤنس إذ يقول : " لا يعرف القلب الإسبانى من لا يعرف ثربانتس ، ولا يعرف ثربانتس من لا يعرف قيمة التراث الإسلامى فى الأرض الإسبانية ومداه ، ذلك أن ثربانتس كاد أن يجمع فى نفسه نفوس الإسبان جميعاً ، وكاد أن يجمع فى كتاباته كل ما كتب الله لأهل هذا البلد العظيم فى ماضيهم ومستقبلهم " . (١)

وفى موقف آخر يقول : " لو أقبلت تقرأ هذا الرجل بعد إلمام – ولو يسير – بما كان الإسبانى عليه أيام كانوا مسلمين ، وبما كانوا عليه أيام كانوا بين الإسلام والنصرانية ، فإنك تجد فيما تقرأ لذة لا تكاد تعادلها لذة ، فالدون كيخوته تتبع مغامراته وتقرأ أوصافه ، فيشوقك كل ما تقرأ ويستهويك ما يبدو له من رأى ، وما يملأ نفسه من شعور ، ولكنك تُنكر منه حماسة تبلغ حد الغفلة .. أنت تُعجب بهذا كله وتنكر هذا كله ، وتحسب أن فى ذلك تضارباً لا يستقيم فى شخصية واحدة ، ولكنك إذا ذكرت أن الذهن الذى رسم هذا الشخص الطريف لم يكن إسبانياً صرفاً ، ولا أوربياً صرفاً ، وإنما خالطته عناصر شرقية بعضها عربى وبعضها غير عربى ، بعضها وليد الطبع الإسبانى الأصيل ، وبعضها بقايا بعيدة خلفها هؤلاء العرب فى النفس الإسبانية ، فأصبحت خصالاً لا تذهب مع الأيام " . (٢)

ويمكن أن نتلمس تأثر ثربانتس بالثقافة الإسلامية عبر روايته ذلك عندما جعل للدون كيخوته البطل دوراً يفوق دور الرهبان والقساوسة ، ففى حواره مع صديقه سانشوبانثا يقول : " إن رجال الدين بكل سلام وكسل يكتفون بأن يطلبوا من السماء الخير للأرض ، أما نحن الجنود والفرسان فإننا نقوم بتنفيذ ذلك الذى يطلبونه ، إننا وزراء الرب فى الأرض " . (٣)

ولعل فى هذا النص إشارة إلى شعار المرابطين فى الأندلس ، الذى استقوه من القرآن الكريم ، من كون الإنسان خليفة الله فى الأرض ، قال تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد

---

(١) د. حسين مؤنس : النفس الأندلسية فى كتابات ثربانتس ، فى السيد العبقرى دون كيخوته دى لامنتشا ، ترجمة : د. عبد العزيز الأهوانى ، مراجعة : د. حسين مؤنس ، جـ١ / ص٣٣ ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٧م .

(٢) د. حسين مؤنس : النفس الأندلسية فى كتابات ثربانتس ، فى السيد العبقرى دوكيخوته دى لامنتشا ، ترجمة : د. عبد العزيز الأهوانى ، مراجعة : د. حسين مؤنس ، جـ١ / ص٣٣ ، القاهرة ، مكتبة الإنجلو المصرية ، ١٩٥٧م (الألف كتاب ١٣٣) .

(٣) دون كيخوته : ترجمة : د. عبد الرحمن بدوى ، جـ٢ / ف٩ ، دمشق ، أبو ظبى ، دار المدى ، ١٩٩٨م .

فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم ما لا تعلمون ﴾ [١] صدق الله العظيم .

ويتطابق هذا مع ما ورد فى القرآن الكريم من تفضيل للإنسان على الملائكة المكتفية بالتسبيح وأمره لها بالسجود للإنسان ، قال الله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾ [٢] صدق الله العظيم .

وقد نبه جارودى إلى أن ثربانتس فى أكثر من إشارة فى عمله يدلنا على مصادره التى استقاها من الإسلام والمسيحية ، بل أنه فى بعض صياغاته يعمد إلى ما هو مشترك بين هذين الدينين معاً دون أن يصطدم مع أحدهما كما فى قوله : " لا يوجد رب غير الرب ، والمسيح هو كلمة الله وروحه الأكيدة وداعيته " [٣]

كما أن ثربانتس لم يشأ يُظهر عدم تعصبه للدين الكاثوليكى من خلال اللغة فى الرواية كاللغة التى وضعها على لسان الفتاة العربية " ثريا " فى الكيخوته يقول : " الله ومريم أمه ، يكون فى حفظك يا سيدتى " [٤] ، حيث وضع كلمة " الله " كما هى بلفظها العربى الإسلامى .

ويشير جارودى إلى إن " إيمان الدون كيخوته له معبده الخاص الذى يجمع بين الإيمان بالله ومفهوم الدين من أنه رسالة عدل وخير لصالح الإنسان " ، ولذا فهو يرى فى سلوكه ديناً إلاهياً وينتقد عصره الذهبى عند محاورته لصديقه إذ يقول : " أتعرف يا صاحبى سانشو بأننى قد ولدت تنفيذاً لإرادة السماء فى عصرنا الحديدى هذا " . [٥]

ولكى يؤكد ثربانتس هذا النوع من الإيمان يضع هذه الكلمات على لسان سيدى حامد بن إنجليين الراوى العربى الأندلسى للكيخوته يقول : " ... وهكذا يدور الزمان على نفسه باستمرار ، كعجلة متحركة أبداً والحياة الإنسانية هى وحدها تجرى إلى نهايتها ، أخف وأسرع من الزمان نفسه ، دون أمل فى التجديد ، اللهم إلا فى الحياة الآخرة التى لا حد لها ولا نهاية ، هكذا تكلم سيدي حامد بن إنجليين الفيلسوف العربى

---

(١) سورة البقرة : الآية رقم : (٣٠) .

(٢) سورة البقرة : الآية رقم : (٣٤) .

(٣) د. محسن الرملى : غارودى يبحث عن دين لثربانتس ، انظر الموقع الإلكترونى :
http://www.alwah.com

(٤) دون كيخوته : ترجمة : د. عبد الرحمن بدوى جـ٢ / ف٩ .

(٥) د. محسن الرملى : غارودى يبحث عن دين لثربانتس ، انظر الموقع الإلكترونى :
http://www.alwah.com

المسلم " [1] ولعله هنا يريد أن يذكرنا بعدم استقرار هذه الحياة وخفتها ، وأن الحياة الآخرة هى الحيوان ، وهى الخالدة أبداً . وقد ورد هذا المعنى فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ . [2]

ولعل مما قوى الرواسب العربية فى المجتمع الأندلسى أيام ثربانتس – وكان فيه نصف مليون مسلم تقريبًا على وشك الرحيل – أن رواية دون كيخوته حافلة بأساطير وحكايات ، تدور حول العرب من شتى الأصناف ، كما ورد فى الرواية العديد من صور المغاربة والعثمانيين ، ونماذج من صور الفروسية التى أثرت فى الفروسية الإسبانية ، ونجد من الدارسين من يرى : " أن رواية دون كيخوته بوصفها من قصص الفرسان تقابل عندنا فى العربية قصص الأبطال الشعبية من نحو داحس والغبراء ، وحرب البسوس ، وغيرهما من أيام العرب ، وكذلك قصص أبى زيد الهلالى ، وتغريبة بنى هلال ، والمياسة ، وكتاب ألف ليلة وليلة " [3]

وقد ذكر ثربانتس على لسان دون كيخوته : " كل الفرسان المغامرين فى القرن الماضى كانوا من الشعراء المنشدين " . [4]

وقد أشار د. محمود على مكى إلى تأثر ثربانتس بالأدب العربى يقول : " لقد تأثر ثربانتس تأثرًا كبيرًا بقصص المقامات ، وسيَر أبطال الفروسية الشعبية العربية ، حيث إن هذه القصص والروايات كانت رائجة لمدة طويلة فى الأندلس ، والمغرب ، بسبب الصراع بين العرب والإسبان ، وبخاصة عندما كان ثربانتس بسجن الجزائر وقد أطلع على بعض هذه القصص " [5]

ومن المظاهر المشوقة فى رواية دون كيخوته الإشارة إلى الشعر القشتالى " الإسبانى القديم " الذى كان منه رباعيات وخماسيات تسمى العشريات وكانت من فنونه قصائد فى المديح ، يبدأ كل بيت منها بحرف من اسم الممدوح ، فإذا عدنا للشعر

---

(١) دون كيخوته : ترجمة : د. عبد الرحمن بدوى : جـ٢ / ف٥٣ .

(٢) سورة العنكبوت الآية رقم (٦٤) .

(٣) د. مصطفى كامل الشبيبى : أصداء عربية وإسلامية فى رواية دون كيخوته، ص ٤٨ ، دار الشئون الثقافية ، الموسوعة الصغيرة ، ٢٠٠٣م .

(٤) د. سيد حنفى : الفارس فى الملاحم العربية ، مجلة المعهد المصرى للدراسات العربية والإسلامية بمدريد ، العدد (٢٧) ، ص ١٤٥ ، ١٩٩٥م .

(٥) د . محمود على مكى : القصة الواقعية فى الأدب الإسبانى المعاصر ، ص ٣٩ ، عالم الفكر ، المجلد الثالث ، العدد الثالث ، ١٩٧٢م .

العربى فى المشرق والمغرب وجدنا الرباعيات أمرًا معروفا ومشهورًا ، كذلك الخماسيات والسداسيات .

إذن فالتأثيرات العربية واضحة ومتنوعة فى رواية دون كيخوته : " كالتأثر بحكايات ألف ليلة وليلة ، الذى يظهر جليًا من العناوين التى تشبه الليالى ، وانتهاءً بأساليب السرد والحكايات المتنوعة ، والمتناوبة داخل النسيج السردى الرئيسى " .(١)

ويرى د. صلاح فضل أن : " ألف ليلة وليلة من : " أهم الروائع السردية فى الأدب العربى ، ففى عالم الجن المفتوح على كل وصف ، وكل حدث وكل أنواع العلاقات يسبح الروائى العربى فى كون لا ينتهى من التخيل متحررًا من الواقع ومحرماته ، حرًا أمام أوهامه ومخاوفه وتصوراته وأفكاره " .(٢)

وهناك من يرى أن : " رواية دون كيخوته هى التى افتتحت العصر الحقيقى للرواية فى أوروبا ، وولدت من رحمها روايات لا حصر لها ، كانت قد تأثرت بأسلوب السرد العربى " .(٣)

وقد استطاع ثربانتس بذكائه وعبقريته ، أن يجعل شخصيات الرواية من أبناء المناطق التى سكنها البطل ، حيث أنه مر بعشرات القرى والمدن فى منطقة لامنتشا ، وكثير من هذه الأماكن عربى الأصل ، ولازالت آثارها العربية قائمة إلى اليوم ، ومنها " لامنتشا " وهى فى الواقع خليط من المسلمين والمسيحيين ، وقد أحصى أحد الدارسين العرب خمسًا وثلاثين شخصية إسلامية ، تأثرت بالثقافة الإسلامية فى رواية دون كيخوته .(٤)

إن رواية دون كيخوته خلدت الوجود العربى فى إسبانيا عبر راويها العربى الأندلسى وإلى هذا أشار د. مؤنس إذ يقول : " ما قرأت فصلاً من الدون كيخوته إلا قفزت إلىّ صورة المعتمد بن عبّاد ، فهذا رجل كان يحلم بالسيادة ، كما كان يحلم بها الدون كيخوته ، ويسعى لها حتى استكمل أدواتها ، كما استكمل الكيخوته أدوات

---

(١) هدى أنتينا : ثربانتس وشكسبير ، اعترافات متبادلة : انظر الموقع الإلكترونى :
http://www.tawra.alwehda.gov.sy

(٢) د. صلاح فضل : التجريب الروائى فى الأدب العربى ، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب ، انظر الموقع الإلكترونى : *http://www.almadapaper.com*

(٣) د صالح العرجان : دون كيخوته أعظم رواية فى التاريخ ، انظر الموقع الإلكترونى : *http://www.shthaaya.com* ٢٠٠٦/١٢/١م

(٤) د. كاظم شمهود طاهر : الثقافة الإسلامية لها بصمات فى رواية دون كيخوته : انظر الموقع الإلكترونى : ٢٠٠٥/٤/٢٩ *http://www.islamicotourism.com*

فروسيته ، ولم تكن أدوات المعتمد بأصلح للغرض الذى رمى إليه من أدوات كيخوته للأمر الذى طلب ... وما تصورت المعتمد فى منفاه فى أغمات إلا طفرت إلى ذهنى صورة الكيخوته راقدًا على سريره ينتظر الموت فى ظلال الإخفاق ، كما كان المعتمد يتمنى الموت فى ظلال الأسر " .(١)

فالأدلة كثيرة ومتنوعة التى تؤكد على أن ثربانتس كان على احتكاك دائم بالثقافة العربية الإسلامية طوال حياته بشكل مباشر ، أو غير مباشر ، ولاسيما إذا علمنا أنه كتب أعماله بعد سنوات الأسر فى الجزائر باستثناء مجموعة قصائد كتبها فى وقت مبكر من حياته .

وقد أجمع عدد كبير من النقاد والمتخصصين على هذا التأثر ، فلا نكاد نجد أى عمل له يخلو من بصمة ما للثقافة الإسلامية ، سواء كانت على شكل سمة رئيسية كمسرحياته التى تدل عليها عناوينها مثل : " حمامات الجزائر " أو " السلطانة الكبيرة " أو على شكل مناخ أدبى ، أو أماكن أو شخصيات ، أو حتى تعبيرات أو حكايات أو أمثال شعبية أو إشارات .(٢)

---

(١) د. حسين مؤنس : النفس الأندلسية فى كتابات ثربانتس ، فى السيد العبقرى دون كيخوته دى لامنتشا ، ترجمة : د. عبد العزيز الأهوانى ، مراجعة : د. حسين مؤنس : جـ١ / ص٣٣ .

وانظر : د. عاصم الزهيرى : دون كيخوته فى مئويته الرابعة ، انظر الموقع الإلكترونى *http://www.fdaat.com* ٢٣/١/٢٠٠٥م

(٢) انظر : د . محسن الرملى ، الأثر العربى فى دون كيخوته ، انظر الموقع الإلكترونى : *http://www.droob.com* ١٥/١١/٢٠٠٦ ، وانظر :

- *Dra: Rosario Peréz Saez: El Elemento Arabe en la obra de cervantes, Don quijote de la mancha, Boletin de la asociacion española de de orietales Año XXVI-1988.*
- *Dra: Maria soledad carrasco urgoiti "Personajes moriscos en la obra de cerrantes 11 jornadas de estudios (14-15-16 de Junio de 2001), Hornachos, 2002, P. 31-44.*
- *Dra: Maria jesús rubiera mata: Cervantes entre las dos orillas, Univrsidad de alicante, 2006.*
- *Maria J. Viguera, "la arabización de Don Quijote (en la literatura árabe moderna), en vorios Autores, Don Quijote, Ammán, 1999, 1-19.*
- *Dr: Luce lopéz – Baralt, "Le calam supremo (al – qalam – al ala) de cide hamete benengeli" sharq al – andalus, estudios madéjares y moriscos, Alicante, 16-17 (1999-2002), P. 179-190.*
- *Dr: Fernando Fauaz Simon: Tres relatos moriscos en don quijote . Revesta de filolgiay y linguistica de la universodad de costorica – Vol. XN – Enero – Junio, 19981 N- 1.*

إذن لا مناص من الاعتراف بأن رواية دون كيخوته ، ارتبطت جذورها بالأدب العربى والثقافة الإسلامية ارتباطاً وثيقاً .

وخلاصة القول إن شخصية دون كيخوته شخصية فريدة من نوعها ، بقيت على قيد الحياة على مر القرون ، " واستطاعت أن تصبح صفة ملازمة للأشخاص الذين نلقاهم فى الحياة اليومية ، والذين يتمتعون بصبغة حالمة مثالية " . (١)

فلا غرابة أن تصنف الرواية تصنيفًا أدبيًا كونيًا ، وأن يصبح الحديث عنها شأن الحديث عن الروائع الأدبية الخالدة ، التى قادت ثورة فى الفكر والسلوك ، فصارت مثل : الإلياذة والأوديسة لهميروس ، فى الحضارة الإغريقية ، والإنيادة لفرجيل فى الحضارة الرومانية ، والمهابهارتا فى التراث الهندى القديم ، والشاهنامة للفردوسى .

ونعود للسؤال وهو كيف تعرّف المبدع والقارئ العربى على دون كيخوته ؟

لعل فى إطار حركة الترجمة الواسعة النطاق ، التى حدثت فى الأدب العربى ، والتى عملت على نقل العديد من الأعمال الأوربية ، إلى العربية ولاسيما الأعمال الخالدة والشهيرة ، كان من بينها " رواية دون كيخوته " التى ملأت شهرتها الآفاق منذ ظهورها ، علماً بأنها لم تترجم إلى العربية كاملة حتى منتصف القرن العشرين ، ويعد هذا تأخيراً ملحوظاً بعض الشىء ، إذا ما عرفنا أن ترجمات الأعمال الأدبية الأوربية الأخرى قد نالت اهتمام الأدباء والقراء العرب ، ولاسيما الأعمال المترجمة من اللغتين الإنجليزية والفرنسية ، مع أن اللغة الإسبانية آنذاك كانت ذات أهمية كبرى على المستوى العالمى ، وأن الأدباء والقراء العرب كانوا يسألون عن ترجمة " دون كيخوته " وقد ندر وجود نسخة مترجمة من الإسبانية إلى العربية كما قال السيد " محمد حسنى عمر " سفير مصر المعين لدى إسبانيا ١٩٥٠م .

عندما كتب فى مذكراته التى نُشرت بعنوان : " مذكرات عن بعثتى فى إسبانيا " يقول : " لم أجد أى كتاب ، أو مجلة إسبانية ، كما أننى لم أجد أية ترجمة لأى عمل أدبى إسبانى ، فكل ما استطعت العثور عليه ، هو نسخة ملخصة باللغة الإنجليزية لقصة دون كيخوته " . (٢)

- *Dr: Gamal Abdel – Karim "La Evidencia Islamico en la Obra de Cervantes, Anolisis y Valoracion – de Cervants y el Islam, Minsterio de Cultura, 2006.*
- *Dr: Hane al – Rahib, "Don quijote en un relato", Al menara, 4 (1973)- 199-27.*
- *Dr. Mahmud Ali Makki: "La Cabecera de la Mesa", Revista al Qantara XIX, 2 (1998), PP. 337-342.*

(١) بلين خواريث : دون كيخوته : لغته هويتنا ، ونحن أبناؤه ، انظر الموقع الإلكترونى *http://www.imezran.com*

(٢) د . ماريا خيسوس بجيرا مولينس : " دون كيخوته فى الأدب العربى " ، مجلة الناقل ، ص ٤ ، تصدر عن كلية اللغة ، جامعة الكبومبلوتنسى بمدريد ، ١٩٩٩م .

وفى الصفحات المقبلة ، نعرج نحو المحور الأول من الدراسة الذى يتناول تراجم الرواية إلى اللغة العربية ، مرتبة ترتيبًا تاريخيًا ، ثم نشير بعدها إلى أهم الدراسات التى تناولت الرواية بالنقد والتحليل .

فبالنسبة للتراجم : فى عام ١٩٥٧م ، وفى نطاق مشروع وزارى مصرى ، هدف إلى : اختيار ونشر مجموعة أدبية بعنوان " من الأدب العالمى " ، ظهرت أول ترجمة باللغة العربية ، احتوت على النصف الأول فقط من الرواية ، قام بهذه الترجمة عالم الأندلسيات د. عبد العزيز الأهوانى ، وراجعها وقدم لها د. حسين مؤنس [1] ، ولعل بفضل مهارة المترجم الفائقة ، وجودة الترجمة ، وبفضل الأصداء الواسعة التى استحقها هذا العمل منذ بدايته ، وبفضل رواج المجموعة الأدبية ككل لارتباطها بدور نشر قوية ، كان لترجمة دون كيخوته هذه أثر بالغ وحميد رغم إنها لم تتعد النصف الأول من الكتاب ، وبقى النصف الثانى غير مترجم .

وفى عام ١٩٦٠ ، نشر فى القاهرة أيضًا فى دار المعارف ملخص مبسط وقصير لرواية دون كيخوته على شكل كتاب للأطفال بعنوان " لأولادنا " وكان هذا دليلاً قاطعًا على الشهرة التى أخذت شخصية دون كيخوته تكتسبها بين القراء العرب .

وفى عام ١٩٦٥م ظهرت لأول مرة بمصر رواية دون كيخوته بكاملها مترجمة للغة العربية بفضل عمل وجهد العالم الدكتور : عبد الرحمن بدوى ، وقد صاحبت ترجمة د. بدوى مقدمة علمية وفيرة بالمعلومات والبيانات عن ثربانتس مؤلف الرواية ، وعن الراوية نفسها ، وعن الظروف التاريخية والاجتماعية التى أحاطت بالعمل الأدبى الإسبانى ، فقد جاءت هذه الترجمة عملاً رائعاً ، جديراً بالاحترام ، حيث كُتبت فى لغة عربية مشرقة وأنيقة ، مما يدل على أمانة المترجم القدير للنص الإسبانى ، واللغة العربية الرصينة ، الجزلة التى كتبت بها الترجمة ، وهى كعربية العصر العباسى ، حتى يوازى العربية الراقية ، ولاسيما إذا ما عرفنا أن ثربانتس كتب الرواية باللغة (القشتالية أى الإسبانية القديمة ، أو الكلاسيكية ، أى اللغة الإسبانية الفصحى) ، وقد نجح د. بدوى فى أن يشعرنا بأنه كان شريكًا لثربانتس فى عملية الخلق والإبداع ، فجاءت ترجمته لتؤكد إلى جانب تمكنه من اللغة الإسبانية تفوقه أيضًا وبراعته فى إدراكه العميق لخيال الرواية الخلاق ، وجمال صورها .

وانظر : هانى العريان : " ثربانتس ومصر " ، ص ٦٨ ، ثربانتس بين شاطئين ، مجلة كلية الآداب ، جامعة أليكانتى ، ٢٠٠٦م .

(١) السيد العبقرى دون كيخوته دى لامانشا : ترجمة : د. عبد العزيز الأهوانى ، مراجعة : د. حسين مؤنس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

ولا نبالغ إذا قلنا إنه قدم ترجمة بالعربية ، تتفوق فى لغتها ومقدمتها الفنية على الكثير من الطبعات الإسبانية ذات المقدمات الوافية .

وقد قامت جريدة القاهرة ٢٠٠٥م بإعادة طبعة د. بدوى للرواية وقدمتها هدية للقراء فى أربعة أجزاء متتالية .

ثم تأتى ترجمة د. سليمان العطار فى عام ٢٠٠٢م التى استهلها بمقدمة رائعة عن ثربانتس ، متناولاً ثقافة هذا المؤلف العبقرى إذ يقول : " من المؤكد أنه لا يقل ثقافة عن كتّاب عصره المتعلمين ، كان يقرأ كل كتاب يصدر بالإسبانية أو الإيطالية (التى تعلمها صغيراً) وأعماله تشهد بأنه يعرف ويلم بثقافة عصره والعصور السابقة عليه ، وكان يقرأ كل ورقة تقع عليها يده ، ولو كانت ملقاة فى الشارع " . (١)

ويرى د. العطار أن الراوية الحديثة من اختراع ثربانتس وهى حقيقة يعرفها مؤرخو الرواية فى العصر الحديث إذ يقول : " الرواية الحديثة من اختراع ثربانتس تماماً مثل الدراما الحديثة ، فهى من اختراع شكسبير ، فدون كيخوته أول رواية حديثة ، وقد صارت أمًا لكل الروايات العظيمة إلى اليوم ... " . كما علق على بناء الرواية يقول : " إن العناصر البنائية للرواية الحديثة من الشارع " ، أى من الواقع ، وهكذا كانت رواية دون كيخوته . (٢)

ثم جاءت ترجمة الأديب السورى د . رفعت عطفة وهى آخر ترجمة بالعربية للرواية ، فى لغة جادة وعميقة تعكس لنا وعي وخلفيات المؤلف العبقري من ناحية وشخصية البطل الفارس الخيالي من ناحية أخرى .

بدأ الترجمة بمقدمة رائعة صاغها في أسلوب أدبي رشيق ، ولغة رصينة ، وقد احتوت المقدمة على عدة محاور وآراء استهلها بتسليط الضوء على السيرة الذاتية لثربانتس إذ يقول : " إن أول من اهتم بكتابة سيرة ثربانتس الذاتية كان إنجليزيًا ، ولم يكن إسبانيًا وهو السير جون كاستريت " (١٦٩٠ – ١٧٦٥) ، الذي دفعه إعجابه الشديد بدون كيخوته ، لأن يعمل طبعة فاخرة لهذه الرواية العظيمة ضمّنها سيرة حياة ثربانتس ، وكلّف بها صديقاً له إسبانياً هو " غريغور يومايانز إي سيسكار (١٦٩٩ – ١٧٨١) ..... كما أشار د. عطفة إلى أن السيرة الذاتية لثربانتس لم تظهر فى إسبانيا حتى عام (١٨٧٠) " حين قررت الأكاديمية الملكية الإسبانية أن

---

(١) دون كيخوته : ترجمة : د. سليمان العطار ، القسم الأول من المقدمة ، ص ٥ .

(٢) المصدر السابق نفسه : ص ٦ .

تُخرج دون كيخوته في طبعة عظيمة أرفقتها بدراسة عن ثربانتس قام بها السيد بثينتِ دلوس ريوس " . (١)

كما تعرض المترجم لفواصل من حياة ثربانتس وأفكاره ، موضحاً صفاته الخُلقية والخُلقية إذ يقول : " كان أشقر الشعر ، نحيل الجسم ، رشيقاً وحيوياً ، تعلوه ملامح الشيطنة والسخرية اللتين يقولون إنه ورثهما عن والدته ..... كما كان ينطوي على طيبة ورثها عن أبيه ولازمته طوال حياته " ويواصل ..... " كان يملك من الذكاء ما جعله يمعن النظر في كل شيء ، فلم يكن يترك شيئا يمر به دون أن يتفحصه ويفهمه وبقي يتعثر ويسقط ويعود فينهض على امتداد حياته ، يبحث دوماً عن مخرج من الفقر ، والضائقة الاقتصادية التي لم تفارق بيت أبيه يوماً وربما لم تفارق بيته أيضاً " . (٢)

وذهب د . عطفة إلى أن الفقر هو الذي أجبر ثربانتس على الذهاب وهو في الثانية والعشرين من عمره إلي الحرب ، وهو بهذا الرأي يختلف تماماً فيما ذهب إليه الباحث الإسباني " لويس أسترانا مرين " أحد أهم دارسي ثربانتس في القرن العشرين من أن الحماس وحده وليس الفقر هو الذي دفع بثربانتس رغم ما كان يعانيه من الحمىَ والمرض للمشاركة في المعركة والدفاع عن المسيحية إذ يقول : " لأنه يحمل روحا عسكرية ، ويريد أن يقاتل ضد التهديد التركي والإسلامي للحضارة المسيحية " . (٣)

بينما يؤكد د . عطفة مقدماً لنا الدليل الذي يتفق مع ما ذهب إليه وعلى لسان ثربانتس نفسه بأن الدافع وراء التحاقه بالعسكرية إنما راجع إلي حاجته للعمل والمال ، وقد عبر عن ذلك في مقطوعة له حيث يقول :

في الحقيقة الحاجة التي دفعتنى
للذهاب إلى الحرب
فلو كان في حوزتي مال
ما كنت ذهبت إليها (٤)

ويواصل د . عطفة يقول " ..... انضم إلي الحياة العسكرية بسلاح البحرية الإسبانية على وجه الخصوص ، بأمل أن يحسن وضعه المعاشي ، ولكنه لم يشبع حاجاته فقد عانى ، كما عانى كل عسكر ذلك الوقت ..... فحصة الجنود لم تكن تتجاوز

---

(١) د. رفعت عطفه : ميغل دي ثربانتس : دون كيشوت دِلامانتشا ، المقدمة ، ص ٥ ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢م ، دمشق .

(٢) د. عطفة : مقدمة الترجمة : ص ٦ .

(٣) د. عطفة : مقدمة الترجمة : ص ٦ .

(٤) د. عطفة : مقدمة الترجمة : ص ٧ .

من اليوم وجبة واحدة بائسة ..... وفيها جُرح وشلّت يده اليسرى فسمّي أبتر لبّانِت " [1] ، ويشير إلى أن إصابة ثربانتس لم تكن نتيجة مبارزة مع العدو بل نتيجة رصاصات أصابته في بطنه ويده نظراً لوجوده وسط معركة من المعارك الحاسمة في تاريخ البحرية العالمية ، وإذا شارك فعلا فلأنه أراد أن يدافع عن نفسه ، لأن قواه لم تكن تؤهله بأن يقاتل بسبب ما كان يعانيه من الحمىّ والإقياء .

ثم يتطرق د . عطفة إلى السنوات التي أسر فيها ثربانتس بالجزائر فيقول : " في طريق عودته إلى إسبانيا بحراً أسره القراصنة وحملوه إلي الجزائر حيث قضى خمس سنوات (١٥٧٥ – ١٥٨٠) ونظراً لأنه كان يحمل رسائل من الأمير خوان دِ أوْستريا أخى الملك فيليب الثاني ملك إسبانيا فقد ظنوه شخصاً مهماً فرفعوا قيمة فديته ، وقد عانى أهله كي يؤمنوا ولو جزء من قيمة الفدية فطرقوا أبواباً كثيرة من أبواب السلطات الإسبانية لكن دون جدوى " . [2]

ويتوقف المترجم حيال علاقة ثربانتس بالعربية موضحاً أهم أعماله الأولى يقول : " في الجزائر تعرّف على الحياة الإسلامية عن قرب بشكل جيّد حتى أنه ما من عمل من أعماله إلا ويذكر فيه الجزائر وعاداتها وتقاليدها .... " [3] . كما أشار إلى عدم الاعتراف بثربانتس كشاعر ، يقول : " على الرغم من أنه بدأ حياته الأدبية بالشعر والمسرح واستمرّ بكتابتهما على امتداد حياته إلا أنّه لم يُعترف به شاعراً في زمانه ولا أعماله المسرحية لاقت الرواج ولا النجاح الذي لاقته أعمال لوبى دِفيجا الذي كان مُجَدَداً ، ومن بين أعماله الأولى : معاهدة الجزائر ، وتدمير نومانثيا ، والكوميديات الثمانية والمهازل الثمانية (١٦١٥) التي لم تعرف طريقها إلى التمثيل ..... " . [4]

ومن الطروحات التي عرضها د . عطفة في المقدمة تلك النظرية المعروفة بالبريختية في المسرح ، والتي عرفت في القرن العشرين ، وكيف أن ثربانتس نجح في أن يقدم لنا خلال الكيخوته هذه النظرية إذ يقول : " قدم ثربانتس ما يمكن تسميته بالنظرية البريختية للمسرح المتمثلة في مشاركة الجمهور في العمل المسرحي ، ويتضح هذا في الفصل الحادي والأربعين من القسم الثاني من الرواية ، حيث يختلط التمثيل بالواقع ويتحول الناس العاديون إلى ممثلين ، ومن ليس على اطلاع بالحيلة لا يدري أين ينتهي التمثيل ولا أين تبدأ الحقيقة ، هناك يعتقد دون كيخوته أنه أمام الحقيقة ، بينما يشك بها سانشو ، من كل ذلك نصل إلى محصلة مفادها أن ثربانتس يبرهن لنا –

---

(١) د. عطفة : مقدمة الترجمة : ص ٧ .

(٢) د. عطفة : مقدمة الترجمة : ص ٧ .

(٣) د. عطفة : مقدمة الترجمة ، ص ٨ .

(٤) د. عطفة : مقدمة الترجمة ، ص ١١ .

عبر الكيخوته ـ أنه يلعب وأن الفن إنما هو لعب معرفي يقدّم لنا من خلاله نموذجاً من الطموح الأخلاقي والجمالى ، فهو يجعل دون كيخوته في الجزء الأول يقلد أبطال روايات الفروسية ويعيش حياة الشخصية الأدبية ، ويجعله في الجزء الثاني شخصية أدبية يتحدث الناس عنها وشخصية واقعية تسمع بنفسها ما يقوله الناس الذين قرؤوا الجزء الأول " . (١)

ويشير د . عطفة إلى أن الشيء نفسه يفعله ثربانتس عندما لا يحدد لنا اسم البطل الحقيقي في الرواية إذ يقول : إن ثربانتس أراد عن عمد وقصد أن يجعل البطل مجهولاً غير معروف الحسب ولا النسب ، فهو دون كيخوته وهو كيخادا أو كيسادا ، وكيخانا ، وألونسو كيخانو ..... ، وبالتالي نحن أمام بطل يتحرك بيننا وينمو مع نمو الرواية ، بطل من نوع جديد جداً ، لأن الأبطال الكلاسيكيين جميعهم معروفون بحسبهم ونسبهم ومكان ولادتهم وعيشتهم ..... " . (٢)

ثم يعرج المترجم نحو تعددية المؤلفين ويرى أن الشيء نفسه ينطبق على المؤلف العربي المزعوم حامد بن على كراو حقيقي أيضاً للرواية إذ يقول : " لو توقفنا عند مسألة المؤلف الأول ، والمترجم الطليطلي الموريسكي ، والمؤلف الثاني ، أو الراوي ثربانتس ، لوجدنا كم ساعد ذلك في خلق أجواء أدبية فريدة في تاريخ الرواية ، وقراءات متعددة ، فمخطوط سيدي حامد حقيقي في الرواية بشهادة شخصياتها وراويها ، ولكن لا نعرف أين يبدأ نص سدي حامد ولا أين ينتهي ، لأن سيدي الراوي والمترجم يتداخلان في النص ، كلٌ يعدّل فيه حسب ما يناسبه وهذا ما يجعلنا لا ندري على من نضع المسئولية في هذا الأمر أو ذاك ، هل على الراوي الذي سيسهل عليه التملص منها بأن يعزوه إلى المؤلف سيدي حامد ، أو المترجم ، أو الناشر وهذا ما يحدث بالفعل " . (٣)

ويؤكد د. عطفة على ذلك فيقول : " نحن في مشهد التمثيلية التي يحكم الدون كيخوته توزيع أدوارها عند عودة سانشو من حكم جزيرته الموهومة والتي يقترب فيها مما عُرف في القرن العشرين بالمسرح البريختي " . (٤)

ففي نهاية مقدمة ترجمته للرواية يتوقف د . عطفة طويلاً حيال موضوع حضور الموريسكيين في الكيخوته وهو يرى " أن ثربانتس استطاع أن يعكس هذا الموضوع

---

(١) د. عطفة : مقدمة الترجمة ، ص ٩ .

(٢) د. عطفة : مقدمة الترجمة ، ص ١٠ .

(٣) د. عطفة : مقدمة الترجمة ، ص ١٢ .

(٤) د. عطفة : مقدمة الترجمة : ص ١٤ .

بكثير من الدقة والاحترام على الرغم من حساسيته في ذلك الوقت نظراً للموقف الرسمي والكنسي المعادي جداً للموريسكيين " . [١]

وفي ثنايا عرضه لهذا الموضوع عرض عدة نماذج تؤكد حضور الموريسكيين في الرواية وما كان يجري لهم في تلك المرحلة المتأخرة من حياتهم ، مشيراً إلى – نكبتهم إذا جاز لنا التعبير – ومُعاناتهم من خلال اللقاء غير المتوقع بين الموريسكي " ريكوت " وجاره " سانشوبانثا " في القسم الثاني من الرواية . ويخلص في النهاية إلى أن حضور الموريسكيين في الكيخوته يستحق البحث والدراسة الموسعة وأن تخصص له رسالة دكتوراه إن لم تكن رسائل .

وعندما نشير إلى التراجم العربية للرواية والتى ساعدت على ذيوع دون كيخوته وانتشارها لدى الأدباء والقراء العرب ، يجدر بنا أن نشير أيضًا إلى الكُتّاب اللبنانيين مثل : د. نجيب أبو ملحم ، و د. موسى عبود اللذين نشرا عام ١٩٤٧ كتاباً بعنوان " ثربانتس أمير الأدب الإسباني " [٢] ، كما يجدر الإشارة إلى مجموعة المقالات الإسبانية عن دون كيخوتة التي قام بترجمتها إلى العربية الشاعر الفلسطيني د . محمود صبح والذي يعمل الآن أستاذاً بجامعة الكمبلوتنسي بمدريد ، ود . خوليو كورتيس تحت عنوان : " دون كيخوته في القرن العشرين " . [٣]

لاشك حققت ترجمة رواية دون كيخوته نجاحاً كبيراً ، ذلك أن شخصية الفارس المقدام وما تحمله من رموز ، قد ازدادت شهرة لدى القارئ العربي ، بفضل الترجمات ، إلى جانب الدراسات والأبحاث العديدة عن الرواية ، وعن قيمتها الأدبية ، التي تبحرت في معاني رموزها ، وأن معظم هذه الدراسات تناولت الرواية بالنقد والتحليل ، وتأتي في مقدمة هذه الدراسات ، دراسة د . مندور عام ١٩٤٤م [٤] وتلتها دراسة د . محمود

---

(١) د. عطفة : مقدمة الترجمة : ص ١٥ – ص١٨ .

(٢) نجيب أبو ملحم ، وموسى عبود : " ثربانتس أمير الأدب الإسباني " ، تطوان ، المغرب ، ١٩٤٧م .

(٣) د . محمود صبح ، د . خوليو كورنتيس : دون كيخوته في القرن العشرين ، منشورات المعهد الإسباني العربي للثقافة ، مدريد ، ١٩٦٨ م .

(٤) د. محمد مندور : دون كيخوته " نماذج بشرية " ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٤م .

أمين العالم [١] ، ثم دراسة د . حسين مؤنس [٢] ، ودراسة د. رجاء النقاش [٣] عام ١٩٥٨م ، ودراسة د. محمود على مكى [٤] عام ١٩٧٨م .

وتوالت الدراسات فكانت دراسة د. غبريال بعنوان " دون كيخوته بين الوهم والحقيقة " [٥] ، ودراسة د. الغضبان بعنوان " دون كيشوت " جمع فيها القصص والحكايات التى وردت بالقسم الأول من الرواية صدرت عام ١٩٩٣م [٦] ، وأحدث هذه الدراسات دراسة بعنوان " أضواء وملامح عربية وإسلامية فى رواية دون كيخوته " صدرت عن سلسلة (الموسوعة الصغيرة) للشئون الثقافية العامة للدكتور كامل مصطفى الشيبى . [٧]

وقد نشر د. مندور دراسته عام ١٩٤٤ ، فى كتاب بعنوان " نماذج بشرية " كان له أثر كبير إذ أنه قد أعيد طبعه مرارًا ، وكان محور مناقشات عديدة خرجت منها أصوات مؤيدة وأخرى ناقدة ، أي أنه طوال أعوام كان محط جدل مما يدل على أنه ظل فاعلا على مسرح الأدب العربي وقتا طويلاً . أضف إلى هذا أن المقالات التحليلية التي نشراها كل من د . العالم ، ود . النقاش على صفحات الجرائد الدورية في البداية من (عام ٥٦ ، وعامي ٥٧ ، ٥٨ على التوالي) أعيد نشرها ، فقد طبعت مقالات د . العالم عام ١٩٧٢ م ومقالات د . النقاش عام ١٩٧٠م مما كان عاملا هاما في ذيوع صيتهم بين القراء .

---

(١) د. محمود أمين العالم : " دون كيشوت ، ثربانتس الرمز الإنسانى العميق فى " الإنسان موقف " ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار قضايا فكرية ١٩٤٤م .

(٢) د. حسين مؤنس : النفس الإنسانية فى كتابات ثربانتس ، فى السيد العبقرى دون كيخوته ، ترجمة : د. عبد العزيز الأهوانى ، مراجعة : د. حسين مؤنس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٤٧م .

(٣) د. رجاء النقاش : " لماذا نصادر دون كيخوته فى " أصوات غاضبة فى الأدب والنقد " ، بيروت ، دار الآداب ، ١٩٧٠م .

(٤) د. محمود على مكى : رأس المائدة ، حكاية فى الكيخوته تشبه حكاية أندلسية " ، مجلة القنطرة ، العدد التاسع عشر ، المجلد الثانى ، ص ٣٣٧ – ص٣٤٢ ، ١٩٩٨م .

(٥) د. غبريال وهبة : دون كيخوته بين الوهم والحقيقة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥م .

(٦) د. عادل الغضبان : دون كيشوت ، دار المعارف بمصر ، ١٩٩٣م .

(٧) د. كامل مصطفى الشيبى : تأثيرات عربية فى رواية دون كيخوته ، جريدة الشرق الأوسط ، بتاريخ ٢٠٠٢/٢/١٢م ، انظر الموقع الإلكترونى :

http://www.asharq al-awsat.com

ودراسة د. مندور حول الكيخوته ، هي أول وأقدم دراسة عربية عن الشخصية الأدبية الإسبانية ، كتبها عقب الفترة الدراسية التي قضاها فى باريس ويجدر بنا أن نشير إلى أن د. مندور قد حصل على درجة الدكتوراه من مصر [1] ورسالته كانت عن : " النقد المنهجى عند العرب " ، وليس صحيحًا أنه حصل على الدكتوراه من جامعة السربون الباريسية كما أشارت د. ماريا خيسوس بيجيرا إلى ذلك بقولها : " لقد كتب د. مندور دراسته عن الكيخوته ، عقب الفترة الدراسية التى قضاها فى جامعة السربون الباريسية ، والتي استمرت تسعة أعوام ، حصل خلالها على درجة الدكتوراه فى الأدب من باريس " . [2]

كما يجدر بنا أن نشير أيضاً إلى رأى د. الطاهر أحمد مكى حول دراسة د. مندور ، فهو يرى أن هذه الدراسة مأخوذة عن دراسة فرنسية وردت فى كتاب " النماذج العالمية فى الأدب الفرنسى والعالمى " للكاتب الفرنسى " جان كالفيه " وهو فى ثلاثة أجزاء ، اثنان منها يحتويان على نماذج من الأدب الفرنسى ، والثالث على نماذج من الأدب الإيطالى والإسبانى وغيرهما ، وطبع فى باريس عدة مرات ، آخرها عام ١٩٦٤م .... ويشير د. الطاهر مكى مثبتًا كلامه إلى أن النموذج الوحيد الذى أضافه د. مندور ولا يوجد فى الكتاب الفرنسى هو " إبراهيم الكاتب " للمازنى ، أما البقية فمأخوذة كلها من المؤلف الفرنسى نماذج وموضوعات ومنهجًا ، وحتى النصوص التى يعزز بها د. مندور شرحه وفكرته هى نفس النصوص التى اختارها الأديب الفرنسى للتدليل على تحليله " . [3]

ويظهر دون كيخوته فى هذه الدراسة " إلى جانب فاوست ، وهاملت ، وأوليس ... وغيرهم ، ويبدو أثر الثقافة الفرنسية واضحا وضح النهار على د . مندور وخاصة في هذا الكتاب . ولذا يجب أن نضع في عين الاعتبار أن معرفة د . مندور بدون كيخوته كانت معرفة غير مباشرة من خلال الأدب الفرنسي ، ويمكننا أن نقسم دراسته إلى ثلاثة مستويات : المستوى الأول وهو الإعلامي ، وفيه يحاول مد القارئ العربي

---

(١) انظر : موسوعة أعلام العرب المبدعين فى القرن العشرين ، جـ ٢ / ص ١١٠٠ ، ط. الأولى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠١م .

وانظر : كشاف معجم المؤلفين لكحالة ، د. فراج عطا سالم ، ق ١ ، الأعلام ، جـ٤/ ص٢٠٤٣ ، الرياض ، ١٩٩٩م .

(1) Maria J. Viguera, "la arabización de Don Quijote (en la literatura árabe moderna), en varios Autores, Don Quijote, Ammán, 1999, 1-19.

- Maria J. Viguera, " Don Quijote en andadura egipcia", Trd. e introd. De 4 ensayos contenpráneos, Almenara, 7-8 (1975) 143-177.

(٣) د. الطاهر أحمد مكى : الأدب المقارن ، أصوله وتطوره ومناهجه ، ص ٢٩ ، دار المعارف ، ١٩٨٧م .

الذي يعتبره جاهلاً بهذا الأدب ، بمعلومات عن مؤلف كتاب دون كيخوته ، وعن الشخصيات ، وعن شهرة وأهمية العمل الأدبي على المستوى العالمي ، ولذلك تبدأ الدراسة بترجمة لحياة ثربانتس إذ يقول : " ثربانتس (١٥٤٦ – ١٦١٦) كاتب إسباني مشهور مؤلف دون كيخوته " . ثم يحدد مدى شهرة الكتاب على الصعيد العالمي إذ يقول : " تخلد دون كيخوته ، وذاع صيت ثربانتس بين كل الناس ، يقرأه الأطفال ويستمتعون بمغامراته ، ويقرأه البالغون فيتفاعلون ، ويتأثرون كثيرًا أمام المأساة التي يعيشها البطل تحت ستار المغامرة والدعابة ، لقد حقق ثربانتس مجداً عظيماً " . (١)

كما يقوم بتعريف القارئ بشخصية دون كيخوته فيقول : " بطل هو ..... قرر ، أو بالأحرى قرر جنونه ..... أن يطوف العالم من أجل محاربة الظلم " (٢) . ثم يقوم د . مندور وفي حرص وتأني منه بعمل تلخيص للفقرات الأكثر شهرة ورواجا ، ومضى إلى أن ترجم عدة أجزاء من الرواية ، مثل النصائح التي أعطاها دون كيخوته لخادمه سانشوبانثا ، الذي يمثل الشخصية المعاكسة تماما لشخصية صاحبه ، وهو نموذج الواقعية البحتة ، والجدير بالذكر ، أنه عندما حاول د . مندور جمع كل هذه المعلومات عن الرواية عام ١٩٤٤ ، لم يكن هناك أية ترجمة إلى العربية منها ، كما أن القراء العرب ، كانوا يجهلون تماما أهمية هذه الرواية والشخصية الكيخوتية على المستوى العالمي .

بالإضافة إلى هذه المعلومات التي قدمها د. مندور للقراء عن دون كيخوته نجده يتطرق إلى محور الرواية ليلتقط ويضع على مائدة البحث الصراع الداخلي الذي أخذ يؤرق مؤلف دون كيخوته نفسه . ميغيل دي ثربانتس – بما أنه وحسب ما ورد فى الدراسة كان قد فشل في جميع مراحل حياته ، ولم يحقق أى نجاح أدبي ، و " إن شخصية دون كيخوته تمثل أيضا شخصية الإنسان الذي يعيش في أزمة حادة وصراع داخلي ، فأبرز عدة مواقف عاشها دون كيخوته تدل على فشله ، مثل قصته ضد طواحين الهواء ، فقد خُيلت له عمالق تطحن الآخرين فقرر محاربتهم ، ومهاجمتهم هجوم الفرسان ، بالفرس والرمح ، ولكنه سقط جريحاً مصاباً أمام أذرعتها الفتاكة " . (٣)

لقد نجحت دراسة د. مندور فى أن توجد علاقة بين حياة دون كيخوته وحياة ثربانتس المأساويتين ، واعتبرت أن بطل الرواية مرآة أدبية لثربانتس ، ووصفته بأنه كان إنسانا ذا خيال واسع وفيّاض ، مثل دون كيخوته ، وكان دائماً على استعداد للتضحية أمام المُثل العُليا المتجاوزة لحدها والتي باتت بديلا عن الحقيقة .

---

(١) د. مندور : دون كيشوت فى " نماذج بشرية " ، ص ١٢ ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٤ م .

(٢) المرجع السابق نفسه : ص ١٣ .

(٣) المرجع السابق نفسه : ص ١٧ .

كما تناولت الدراسة عقدة الختام فأكدت على أن كل هذه الصراعات هي صراعات مشتركة بين بني البشر تشتعل عند اصطدام الأضداد تصادم المُثل العُليا بالواقع ، والعدل بالظلم ، والطاقة والحيوية بالشيخوخة والرضاء بالواقع ... الخ ، وأشارت إلى أن كل ذلك يجيش في قلب الإنسان فعممت بتلك النتيجة ، الصراع ، ووضعته على مستوى البشر بوجه عام مع أن وجوده داخل الفرد نفسه وليس في المجتمع ككل .

ثم جاءت دراسة د . محمود أمين العالم عن دون كيخوته ، ونُشرت في بداية الأمر على صفحات مجلة روزاليوسف عام ١٩٥٦م ، وعرض هذه الدراسة في كتاب بعنوان : " الإنسان ..... موقف " ومثل د . مندور فإن معرفة د . العالم بدون كيخوته كانت معرفة غير مباشرة ، عن طريق الآداب الأوربية ، وخاصة الأدب الفرنسي ، ويمكن تقسيم دراسته إلى ثلاثة محاور ، جاء الأول منها عن تقديم معلومات وفيرة عن ثربانتس ، شخصية بطل الرواية ، والمحور الثاني تناول فيه التفاصيل الخاصة ، بتاريخ إسبانيا ، بشكل عام في القرن السادس عشر ، ففي نظر د. العالم أن : " دون كيشوت لم يكن رجلاً معتوهاً ضائعاً ..... يحارب الطواحين ويسعى جاهداً لفرض أحلامه وتهاويله على أرض الواقع الصلبة ، وإنما كان الفارس الأخير لعصر زاخر بالفروسية والبطولة والنبالة ..... كما كان زاخرًا بالاستغلال والاستعباد ، وكان دون كيشوت تحية الوداع الأخيرة لمرحلة تاريخية كاملة " . [1]

ولعل في هذا ما يتناقض مع فروسيته " ..... على أن دون كيشوت كان ملتقى لهذا التناقض ، وليس هذا بالأمر المثير للدهشة ، فهكذا كانت إسبانيا في الوقت الذي خرج إليها دون كيشوت ..... كان ذلك تماماً في عام ١٦٠٥م حين خرج دون كيشوت ، للناس فوق حصان يتبعه خادمه الأمين " سانشوبانثا " ، وكانت إسبانيا كلها تترقب قدومه في صبر نافذ ..... كأنها تنتظر الخلاص على يديه أو من طرف رمحه ..... " ولم يخرج دون كيشوت إلى أرض الناس إلا بعد أن كان قد استوفى حظه من القراءة ، قراءة قصص الفروسية ، وتقاليد البطولات والمخاطرات ، وأسرار النبالة الإقطاعية ..... " ثم خرج إلى إسبانيا بميراث ثقيل من التهاويل والأساطير والغيبيات ، خرج فيلسوفاً مثالياً حالماً ، يسعى إلى أن يفرض أحلامه وتهاويله على العالم ، واصطدمت هذه التهاويل بصلابة أرض الواقع ، فلم ييأس ولم ينكص على عقبيه ، وإنما اتهم هذا الواقع الصلب المتآمر ..... " . [2]

أما المحور الثالث في دراسة د . العالم فهو مستوى التحليل الأيديولوجي إذ يقترح أن أصل الأزمة يعود إلى عدم التلائم بين النظري والعملي ، بين واقع متقلب

---

(١) د . محمود أمين العالم : دون كيشوت ، وثربانتس : الرمز الإنساني العميق في " الإنسان موقف " ، ص ١٦٥ ، ط . الثانية ، دار قضايا فكرية ، القاهرة ، ١٩٩٤ .

(٢) المصدر السابق نفسه .

بصفة مستمرة ، وعالم ثمرة للخيال لا يعرف بل لا يقدر على التطور ، بل بالأحرى هو عالم يرفض التطور ، وهكذا كتب د . العالم يقول " ..... كانت إسبانيا تعيش في وضع متناقض وفريد في التاريخ ، يحمله دون كيشوت على كتفيه الهزيلين في بسالة ونبالة ، وفي إسبانيا كان الإقطاع ينهار ، وكانت إسبانيا تستبدل به نظاماً رأسمالياً جديداً يقوم على الصناعة وبسط النفوذ ..... إلا أن إسبانيا لم تكن قد وضعت الأسس السليمة لبناء نظامها الرأسمالي الجديد ، وكان الإقطاع بعلاقاته الاجتماعية وتقاليده وتراثه ، عميق الجذور مهلهلا متفسخا لأن إسبانيا وطبقتها الاجتماعية الجديدة لم تؤمن نظامها الجديد بالقاعدة الذهبية : الإنتاج الصناعي " وانعدم الإنتاج فانعدمت الكفاءة وضاعت الخطة السياسية ..... " ومع سانشوبانثا تبرز قضية جديدة " أنه هو السيد الجديد بعد القضاء على الإقطاع ، وهو صاحب الفكرة البسيطة الواقعية ، فلماذا ترك عرشه الجديد ، وسار وراء آخر فرسان العصر المنقرض " ..... " وكان هذا دليلا على أن زوال طبقة كبار الملاك من الإقطاعيين ستتيح لهذا الفلاح البسيط الذي كان تابعاً وعبداً ، أن تتطور كفاءته ، وأن يصبح حاكما جديدا لأرضه التي يفلحها ، تماماً كما تطورت شخصية سانشوبانثا في هذه الرواية ..... " . (١)

وفي نهاية دراسته يؤكد د . العالم على هذه الأفكار فيقول : " وكان لثربانتس كلمة أخرى هي " سانشوبانثا " المواطن الفلاح الجديد ، ذو العقلية الواضحة ، يرى الواقع ويخدم حدوده في سذاجة وبساطة ، ولكن ..... إلي جانب دون كيشوت البطل المغامر ، " سانشوبانثا الفلاح المتزن العاقل ، وإلى جانب الإقطاع المنهار والطبقة الجديدة النامية ..... كان هناك جهد إنساني عامر هو العمل على نشر العدالة والخير والمحبة والسلام بين البشر أجمعين ..... " وأشار إلى عدد طبعات الرواية يقول : " ليس غريبا أن تطبع روايته حتى اليوم ثلاثة آلاف طبعة في جميع أنحاء العالم ..... " . (٢)

نُشرت دراسة د . محمود أمين العالم ، للمرة الأولى في أبريل عام ١٩٥٦ أي قبل عام واحد فقط من أن تحقق أول ترجمة عربية لرواية دون كيخوته ، رواجاً واسعاً لها ولمميزاته الرمزية ، وكما ذكرنا من قبل ، كانت أول ترجمة إلى العربية قام بها العلامة د . عبد العزيز الأهواني ، وقد نُشرت هذه الترجمة بمقدمة ممتازة بقلم د . حسين مؤنس ، المتخصص في الدراسات الأندلسية ، وتعتبر المقدمة في حد ذاتها دراسة تحليلية لرواية دون كيخوته ، نُشرت تحت عنوان " النفس الأندلسية في كتاب ثربانتس" لقد نظر د . مؤنس إلى الرواية وشخصيتها المحورية من خلال عدسة تخصصه الرفيع المستوى في تاريخ وآداب الأندلس ، فقد بدأ د . مؤنس دراسته بالقول : " إن ثربانتس كاد أن يجمع في نفسه نفوس الإسبانيين جميعاً ، وكاد أن يجمع

---

(١) د . محمود أمين العالم : دون كيشوت ، وثربانتس في " الإنسان موقف " ، ص ١٨٥ .

(٢) د . العالم : ص ١٩٠ .

في كتاباته كل ما كتب لأهل هذا البلد العظيم في ماضيهم ومستقبلهم ، فما من شخص يلقاك في هذه البلاد أو يطالعك في صحائف تاريخها إلا وجدت له في كتابات ثربانتس شبيهاً يذكرك به ، وما من خصلة تلمحها في إسباني ، إلا وجدت هذا الرجل قد فطن إليها أثبتها ، وعرضها في شتى جمالاتها ، عرضا يكاد يُغنيك عن التماسها فيمن ترى من الأحياء " . (١)

وأكد د . مؤنس ، مثبتا كلامه بأمثلة عديدة ، على أن هذه الطباع، كانت قد تعممت بين مسلمي إسبانيا ، منذ القرن الحادي عشر، وأن تلك الخصال ..... كخصال التمني ، والإسراف في النشاط ، نتجت عن امتزاجهم بالإيبيريين من أهل البلاد وتأصلت بعد ذلك في الخلق الإسباني ولازمته حتى اليوم .

وفي إشارة منه إلى طابع خادم دون كيخوته " سانشوبانثا " الواقعي العقلي المتزن ، فقد أكد د . مؤنس على أنه طابع موجود أيضاً في نفس النموذج البشري ، إذ يقول : " فمعظم الإسبان فلاسفة عقلاء ، لا تكاد تحدث أحدهم حتى تجد في نفسه من الحكمة والعقل والفلسفة الخاصة ما يعجبك ، ويجعلك تحسب أن هذا الرجل أسعد الناس بما وعى في صدره من الحكمة ، ولكنك لا تكاد تمضي معه قليلاً حتى تتبين أن العقل والحكمة والرزانة والاتزان ليست وحدها دستور حياته ، بل تلمس فيه أيضا ميلاً إلى المخاطرة ، واسترسالا مع الخيال يذكرك بالسيد دون كيخوته ..... فهو نصف فيلسوف ، ونصف مغامر ، هو نصف كيخوته ، ونصف سانشوبانثا (٢) ، وأنهى د . مؤنس دراسته بالإشارة إلى التعايش بين الإسبان المسيحيين ، والعرب المسلمين في الأندلس ، والتأثير المشترك والمتبادل بينهم .

وبالطريقة نفسها تناولت دراسة د . رجاء النقاش ، العلاقة بين مختلف الحضارات ، وقد كتب د . النقاش دراسته في سياق البحث عن العوامل التي أدت إلي توقف العمل في الترجمة الأولي لدون كيخوته ، ونشرها بعنوان " لماذا نصادر دون كيخوته " ونشر هذه الدراسة بين عامي ١٩٥٧ ، ١٩٥٨ م ثم ضمها إلى كتابه " أصوات غاضبة " وفي هذه الدراسة ، أشاد د . النقاش بقصة دون كيخوته وأهميتها

---

(١) د . حسين مؤنس : النفس الأندلسية في كتابات ثربانتس فى السيد العبقري . دون كيخوته ، ترجمة : د. عبد العزيز الأهوانى ، مراجعة : د. حسين مؤنس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

(٢) د . حسين مؤنس : النفس الأندلسية في كتابات ثربانتس ، فى السيد العبقرى ، دون كيخوته ، ترجمة : د. عبد العزيز الأهوانى ، مراجعة : د. حسين مؤنس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

موضحا عدة وقائع تؤكد هذه الحقيقة والأهمية يقول : " فقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الإنجليزية أكثر من عشر مرات ، أما الإسبان فيعتبرونه جزءًا بارزًا من أمجادهم القومية ، كما ننظر نحن إلى الأهرام كأثر استطاع أن يقاوم السنين الطويلة ليشهد على حياة الذين أقاموه ..... إن دون كيشوت ، ودون جوان ، وهاملت ، وفاوست هم الأربعة العظماء الذين خلقهم خيال الإنسان ..... " ثم يتوقف د. النقاش عند أهمية النموذجين المتناقضين فى الرواية أولاهما دون كيخوته ، والثانى خادمه سانشوبانثا على المستوى العالمي ، يقول : " دون كيشوت نموذج إنساني لما في النفس البشرية من نزوع إلى الخيال والأحلام والمثاليات ، إنه يريد أن يحطم كل ما في العالم من شر ويصلح ما فيه من أخطاء . ولكن أحلامه تصطدم بواقع قاس مر ، وهو مع ذلك يصبر ويناضل لأنه يقنع نفسه بأنه صاحب رسالة ، ومن كان صاحب رسالة فعليه أن يتحمل الأذى من كل نوع وفي كل لحظة ..... وعلى خادمه سانشوبانثا وعلى حماره الهزيل الذي يساهم – دون وعي منه – في تحمل آلام سيده الدخول في نفس المعارك التي يدخلها ، ويناضل من خلالها دفاعا عن أحلامه ومثالياته " . [1]

ثم كانت دراسة د . محمود علي مكي [2] في عام ١٩٨٥ حول ثربانتس مؤلف الكيخوته ، تناول فيها بصورة واضحة للغاية شخصية دون كيخوته ،. وبعدها الرمزي ، كما عرض للظروف التاريخية التي أدت إلى ظهور هذا النموذج الإنساني على الأرض الإسبانية منذ أربعة قرون .

وتأتى دراسة د . غبريال وهبه في كتاب بعنوان " دون كيشوت بين الوهم والحقيقة " بدأ الدراسة بمقدمة مستفيضة عن المؤلف ثربانتس ، متناولا حياته وعصره وظروفه ، وخاصة أن الرواية شديدة الصلة بعصره ، ثم أشار إلى شخصية البطل دون كيخوته وإلى مكانة الرواية إذ يقول : " لم تحظ شخصية روائية بالخلود ، مثلما حظيت شخصية دون كيخوته " ..... وتعد الرواية أعظم عمل فني في تاريخ الأدب الإسباني ، ومن أحب وأوسع الكتب انتشاراً في العالم ، وهو يلي الإنجيل في كثرة اللغات التي ترجم إليها " . [3]

---

(١) د . رجاء النقاش : لماذا نصادر دون كيشوت في أصوات غاضبه ، ص ٩٠ ، دار الآداب بيروت .

(٢) د . محمود علي مكي : القصة الواقعية في الأدب الإسباني المعاصر ، مجلة عالم الفكر ، ص ٣٣ المجلد الثالث ، العدد (٣) ، ١٩٨٥م .

(٣) د . غبريال وهبه : دون كيخوته بين الوهم والحقيقة ، ص ٥ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٩ .

وقد أفرد د . غبريال الفصل الأول من كتابه عن حياة ثربانتس ، وهو يرى ليس هناك ما يمنع أن نستمتع بروايته ، ونعجب بها ، وفي نفس الوقت نقص الحقائق عن حياته فيقول : " إذا كان هنرى توماس ، ودانالي توماس قد قالا عن ثربانتس إن شجرة الورد لن يضيرها أنها نبتت في الوحل ، واستمدت جمالها من الطين ، فإننا نقول عن ثربانتس مقولة خادمه سانشوبانثا من أن الأرض الجافة العقيمة تنتج ثمارا طيبة حين تُسمد وتُزرع ، ونحن نرى أن العديد من تجارب الأيام والخبرات ، والمعاناة والآلام التي ذاقها ثربانتس ، هي السماد الذي أثرى نغم حياته الأدبية ، وانتج لنا درة أعماله وزهرتها اليانعة " [1] ..... ثم خصص الفصل الثاني من الكتاب عن الدراسة التحليلية لنص الرواية ، متناولا العناصر الرئيسية لها ولشخصياتها مع عرض لآراء الكُتَّاب والنقاد في الرواية حتى يستعيد بذلك الجو النفسي والروحي ، الذي كُتبت فيه الرواية لتكتسب أبعادا واضحة " ويصبح بالإمكان تقدير الأوجه التي لا يحصرها العد " . [2]

وأخيرًا ، نشير إلي دراسة د . عادل الغضبان ، التي صدرت عام ١٩٩٣م نشرها في كتاب بعنوان " دون كيشوت " جمع فيها القصص والحكايات ، التي وردت في الرواية في القسم الأول منها ، بدأ دراسته بالتعريف بمن هو دون كيخوته معددًا صفاته يقول : " دون كيشوت رجل من الأشراف ، يعيش في قرية من قرى لامنتشا " بإسبانيا ، وهي تقع في إقليم قشتالة الجديدة ، ولكنها غنية بطواحين الهواء ، وكان لدى الرجل رمح قديمة ، وترس يعلوه الصدأ ، وحصان هزيل ، وكلب من كلاب الصيد " ..... " وقد كان يقضي أوقات فراغه ، في قراءة قصص البطولة والفروسية ويجد فيها لذة ومتعة ، صرفتاه عن الصيد والقنص ، وعن إدارة أملاكه ..... ولقد تملكه الغرام بتلك القصص حتى أنه باع قطعا كثيرة من أرضه ليشتري بثمنها كتبا عن الفروسية ، والبطولة ويؤلف منها مكتبة عامرة " . [3]

ونعرج نحو الشق الثاني من الدراسة وهو يدور حول كيف تم توظيف دون كيخوته في الإبداع العربي المعاصر ، أي توظيفه الرمزي في الأعمال الأدبية في العصر الحديث .

نشير في البداية إلي كتاب النثر القصصي ، ثم الشعراء العرب الذين لجأوا إلي شخصية دون كيخوته ، ونجحوا في أن يبرزوا صفة البطولة الكامنة في هذا الفارس الإسباني المقدام ، أما بالنسبة للنثر فقد وجدنا هذا التوظيف الرمزى في قصتين عربيتين ، الأولى قصة الأديب السوري هاني الراهب ، وهي قصة قصيرة بعنوان

---

(١) د . غبريال وهبه ، دون كيشوت بين الوهم والحقيقة ، ص ٧ .

(٢) د . غبريال وهبه ، دون كيشوت بين الوهم والحقيقة ، ص ٢٩ .

(٣) د . عادل الغضبان : دون كيشوت ، ص ٦ ، دار المعارف ، ١٩٩٣م .

" دون كيشوت " [1] والقصة الثانية للأديب العراقي جليل القيسي ، التي نُشرت عام ١٩٧٤ ، بعنوان " أحلام الفارس الحزين دون كيشوت " . [2]

ففي قصة هاني الراهب ، تظهر صورة الفارس المقدام دون كيخوته بشكل واضح ، بل وتلعب الدور الرئيسي في القصة ونستشهد بالحوار الذى دار بين البطل دون كيشوت وحبيبته أميمة ثم الحوار مع صديقه جندب الذى يمثل سانشوبانثا في الرواية الإسبانية ، أما أميمة فهى بلا شك تمثل حبيبة دون كيشوت دولوثينيا التوبوسية فى الرواية يقول : " قال دون كيشوت لحبيبته أميمة " :

- تعرفين يا أميمة أن طواحين الهواء تمثل بالنسبة لى رمزاً دائماً .

إنها تعبير عن الصراع الذى نخوضه فى هذا العالم ، وعلى مختلف الأصعدة ، إذا هدأت انتهت مشاكلنا ، وإذا تحركت فالعياذ بالله .

- وقالت أميمة لدون كيشوت : لست أفهمك تماماً ، المفروض أنه إذا هدأت الطواحين توقف إنتاج الطحين ، وإذا تحركت صار عندنا طحين .
- وقال دون كيشوت : قد يكون صحيحاً أنك لا تفهمينى ، فأنا أتكلم عن طواحين الهواء ، وأنت تتكلمين عن الطواحين .

وقال دون كيشوت لصديقه جندب :

- تعرف يا جندب أن مسائل الإمبريالية والتخلف والتجزئة تشغل بالى ، يخيَل إلىَ أحياناً أن أساليب مواجهتها واضحة وضوح الغبار على كراسى بيتنا . [3]

ويقوم نفس الفارس بدور الشخصية الرئيسية في قصة الأديب جليل القيسي ، وفي هذه القصة لجأ القيسي إلى دون كيخوته لكي يوضح التناقض الوجودي الذي لا يحله شيء سوى الزمن ، وهذا الزمن يسخر في نهاية المطاف من الصراع نفسه ، فالشخصية الرئيسية في قصة الكاتب العراقي ، شخصية رجل مفكر ومتزن ، ميّال للأحلام وقارئ لدون كيخوته ، ويحلم هذا البطل كما يحلم دون كيخوته ، وفي أثناء أحلامه هذه يتخيل أنه وقع أسيراً في قبضة طبق طائر ، به كائنات قادمة من كوكب بعيد ، وهذه الكائنات ، كانت قد توصلت إلى درجة هائلة من التقدم لا يستطيع الإنسان أن يتخيلها ، رغم أن بعض المثاليين – وهنا إشارة لدون كيخوته – " حاولوا بالفعل ،

---

(١) هاني الراهب : دون كيشوت ، من مجموعة قصص " جرائم دون كيشوت " ، دمشق ، ١٩٧٨م .

(٢) جليل القيسي : أحلام الفارس الحزين " دون كيشوت " ، ١٩٧٤م .

(٣) هانى الراهب : دون كيشوت ، من مجموعة قصص " جرائم دون كيشوت " اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٧٨ .

تخيل تلك الأوضاع ، ولكنهم واجهوا صعوبات كثيرة ، وصُدموا بالمجتمع وعدم تفهمه لموقفهم على الإطلاق " . [١]

إن العبرة التي نستقيها من قصة جليل القيسي - الذى يبين ويحلل هلاك واختفاء حضارات ماضية - هي أن حضارتنا آيلة هي أيضا للانتهاء ، ولكن رغم ذلك علينا أن نعمل ونجتهد ، حسب واقعنا الحالي . فإن كان دون كيخوته غير قادر على مُثل هذا العمل القائم على أساس واقعي ، فهو بذلك يبعث فينا الإعجاب والشفقة في آنٍ واحد ، ويستيقظ بطل قصة القيسي من حلمه وكما يقول الكاتب : " فإنه يقفز من آخر سيارة نقل عام متوجهة إلى المدينة ، فيذكر أنه قد نسي قصة دون كيخوته في ذلك الطبق الطائر " [٢] ، وبهذا يدخل المؤلف عامل بلل أخير يرمز إلى ما نشعر به دائما من حيرة وقلق بين الحقيقة الواقعة والخيال .

أما في الشعر العربي المعاصر فإن الإشارات إلى رمز المثالية في شخصية دون كيخوته كثيرة ومتعددة فهو يظهر في أبيات الشاعر السوداني محمد الفيتوري [٣] والشاعر المصري محمد إبراهيم أبو سنة [٤] ، وأحمد سويلم [٥] ، وأحمد هيكل [٦] ، ونجيب سرور [٧] . كما يظهر في أبيات نزار قباني [٨] ، والشاعر العراقي بدر شاكر السيّاب [٩] ، وأرشد توفيق [١٠] ، وخليل إبراهيم [١١] ، ونلتقي أيضا بدون

---

(١) جليل القيسي : أحلام الفارس الحزين ، ١٩٧٤م .

(٢) المصدر السابق نفسه .

(٣) محمد الفيتوري : " دون كيشوت الثاني " ، ديوان اذكريني يا أفريقيا ، ١٩٧٠م .

(٤) محمد إبراهيم ابوسنة : دون كيشوت على فراش الموت ، الأعمال الكاملة ، القاهرة ، ١٩٨٥م .

(٥) أحمد سويلم : أمام تمثال دون كيشوت ، ديوان ، سفر الأوسمة ، بيروت ، ١٩٨٥م .

(٦) أحمد هيكل : حكاية الفارس والحصان ، في أصداء الناي ، ص ٧٠ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

(٧) نجيب سرور : فارس آخر الزمان ، في الأقلام ، ص ١٧ ، العدد (١١) ، ١٩٧٥م .

(٨) نزار قباني : قصيدة " الممثلون " الأعمال السياسية الكاملة ، جـ٣ / ص١١٨ ، بيروت ، ١٩٨٣م .

(٩) بدر شاكر السيّاب : " انشودة المطر " ، الأعمال الشعرية الكاملة ، جـ١ / ص٢٣٦ ، بيروت ، ٢٠٠٢م .

(١٠) أرشد توفيق : " دون كيشوت " ، النجمة والدرويش ، الموصل ، ١٩٩٧م .

(١١) خليل إبراهيم : دون كيشوت : الرأي ، ص١١ ، عمان ، ١٩٩٩م .

كيخوته في شعر محمود درويش النثري ، وفي أبياته الشعرية بالطبع ، ومن بين هذا الكم الكبير من الشعراء العرب سنشير إلى البعض منهم ، ونبدأ بالشاعر السودانى محمد الفيتورى ، فعندما تطالع قصيدته التى بعنوان " دون كيشوت الثاني " نجده نجح فى أن يوظف رمز دون كيخوته توظيفاً يتلائم مع حالته النفسية والمزاجية مستخدماً الشخصية الكيخوتية استخداماً سياسيًا رمزيًا يقول :

دون كيشوت الثاني
صدئت عيناك ...
وغطت أعشابَ الأرض السوداءِ خطاك
فلتدفن رأسك في الطين
يادون كيشوت المسكين
الحلبة فارغة العينين
بلا كفين
بلا جمهور يزرع ملء جوانبها الضوضاء
وتجئ تجرجر سيفك في خيلاء
تتلاعب بالسيف الخشبيَ وبالحربة
لا تخجل من هذا الصمت الضافي فوق الحلبة
سيفي مثلي ظمآن
وحصاني أيُ حصان
وأنا الموت الأحمر
أنا جلاد الفرسان
يادون كيشوت زمانك
إنك تُضحكنا ...
تُبكينا ...
يا دون كيشوت الثاني إنك لعبة ...
إنك لعبة !
وثن ذهبي كان
سقطت عنه الألوان
فتعرى ، والإنسان
ماذا يبقى منه ...
لو مات بداخله الإنسان ! (١)

(١) محمد الفيتوري : من ديوان : " أذكريني يا أفريقيا " ، بيروت ، ١٩٧٠ .

ففى هذه القصيدة ، تبدو نظرة الشاعر إلى دون كيخوته ، نظرة الباحث عن المُثل العُليا فى زمن يفتقر إليها وهى المثل الزائدة على الحد ، كما فعل دون كيخوته ، والتى جعلت منه مثار جدل واستهزاء من الآخرين .

وهناك شاعر آخر يرى أن " دون كيخوته " شخصية فاقدة للأمل الذى نشدته طيلة حياتها ، منذ بداية رحلتها . " فدون كيخوته " يريد أن يحطم كل ما فى العالم من شر ، ويُصلح ما فيه من أخطاء ، ولكن أحلامه تصطدم بالواقع القاسي المر ، وهو مع ذلك يصبر ويناضل لأنه يقنع نفسه بأنه صاحب رسالة ، ومن كان صاحب رسالة عليه أن يتحمل الأذى من أى نوع وفى أيّة لحظة ، يقول الشاعر / محمد القيسى [1] فى قصيدته " منزل دون كيشوت " :

أرى خَيمة فى الجَبَلْ
تُنكّسُ أعلامَهَا مُؤمِنة
بما وُعِدَتْ
مِنْ جِرار العَسَلْ ...
وطيبةِ حزبِ العَمَلْ
أراها تُجَمّعُ الحُطام ... هذا الحُطامُ ،
حُطامي ،
وما يَتَبقىّ
مِنَ الرّايَةِ المُتْخَنة
أرى عِلّتي المُزْمِنة ..
أرى خيمة
تَلْمَعُ الآن ضِدّي ،
أراني وَحْدي ...
أدورُ كَما حَجَرا مِطْحَنة
أواجهُ ..
أيامَ
هَذي
السَنَة [2]

---

(١) محمد القيسى : منزل دون كيشوت ، من ديوان " منازل فى الأفق " ، ص ٦٢١ ، الحائز على جائزة ابن خفاجة الأندلسى للعام ١٩٨٤م ، والتى يمنحها المعهد الثقافى الإسبانى العربى فى مدريد .

(٢) محمد القيسى : قصيدة " دون كيشوت " من ديوان " منازل فى الأفق " ، عمان ، ١٩٨٤م .

فالأدباء العرب من كُتّاب النثر القصصى أو الشعراء لجأوا إلى " دون كيخوته " بفضل رمزيته التى ملأت آفاق العالم ، ونجد هذه الرمزية تظهر بوضوح فى قصيدة الشاعر اللبنانى يوسف الخال ، إذ ينجح فى إظهار صورة البطل الفارس المقدام إذ يقول :

على مدينة الخَزَفِ
شَهَرْنا سيوفنا
ورفعنا آلات الحصار
العُرج كانوا هُناك ،
وكان هناك البُكم والعُميان
وكل ذي عاهة .
فقاتلنا حتى تكسَّرت أسنانُنا
ولا نزال نقاتل .
لا نزال نقاتل
أيها الفارس ،
فالقتالُ هوايتُنا القُصوى .
فى أوقات الفراغ نقلب
المجاهل بحثًا عن عدو (١)

ولعل الذى حدا بالشاعر العربى المعاصر أن يتخذ من شخصية " دون كيخوته " رمزًا للتعبير عن مشاعره الفياضة ، أنه وجد – ربما – عدة خصائص مشتركة بينه وبين " دون كيخوته " مثل دخول حلبة الصراع حتى وإن كان هذا الصراع غير متكافئ فى قواه ، والتصميم على إيجاد العدالة وإن لم تُحقق ، والتمسك بالأهداف والمبادئ المثالية ، وفى هذا المعنى يقول الشاعر إبراهيم أبو سنة ، فى قصيدة " دون كيشوت على فراش الموت " :

من نصف قرن أو يزيد
وها أنا على فراش الموتِ
مكبل بالجرح والحديد
استعطفُ القَضالة والشهود
مستوحشٌ فى دولةِ البرابرة

ويقول :

حلمتُ بالجزر
طليقة تطوفُ بالبحار
بعالمٍ من الفرسان

---

(١) يوسف الخال : قصيدة " رسالة إلى دون كيشوت " ، من ديوان رسائل إلى دون كيشوت " ، بيروت ، ١٩٧٩م .

بالأمن للجميع والعدالة
بالحبِ سافراً بلا غلالة
حلمتُ لو وضعتْ قُرْطبة
على تلال نَجْمةٍ خَضْراءْ
تطيرُ بين الظِل والضياءْ
ويكتبُ السحابُ فوق خَدِها
أشعارَه الحمراءَ والصفراءْ

ويقول :

حلمتُ بالحمام
يرتاحُ آمناً على أكتافِنا
ويبتنى أعشاشَه – إن شاء – فى ثِيابنا
لكنني رجعتُ بالجراحْ
بالقهقهاتِ الساخرةْ
بسيفي المكسور فى التراب
وأدمعٍ غزيرة فى أعين الجواد
تركتُ " قرطبة "
مدينةَ لا تعرفُ السعادةْ
مدينةٌ أميرَها الكذبْ [1]

ويجدر بنا أن نشير إلى الشاعر العراقى هاتف الجنابى [2] الذى يعترف صراحة بتأثير رواية دون كيخوته فى أعماله الشعرية يقول " لقد جذبتنى غرائب هذا العمل ، وسعة أفقه ، فأخذت أعود إلى هذه الرواية لقراءة بعض فصولها ، بعد الحصول على الترجمة الثانية لـ د. عبد الحمن بدوى . وبعد قراءتى الثانية للرواية كتبت فى تموز عام ١٩٥٧م قصيدة " دون كيخوته فى الحانة " ألحقتها بعد ربع قرن بقصيدة أخرى بعنوان " متاهات دون كيخوته " . [3]

---

(١) محمد إبراهيم أبو سنة : " دون كيشوت على فراش الموت " ، الأعمال الكاملة ، القاهرة ، ١٩٨٥ .

(٢) هاتف الجنابى : دون كيخوته ، انظر الموقع الإلكترونى : *http://www.awsat.com* ، العدد ٩٨٨٥ ، ٢٠٠٥/١٢/٢١م .

(٣) هاتف الجنابى : دون كيخوته ، انظر الموقع الإلكترونى : *http://www.awsat.com* ، العدد ٩٨٨٥ ، ٢٠٠٥/١٢/٢١م .

فالشعراء وجدوا فى " دون كيخوته " المرآة والدرع بل والسيف الذى لم يتمكنوا من إشهاره خارج الكلمة .

وذلك أننا عندما ننظر للحياة فى عالمنا العربى نجد أنها – شأن الحياة فى مجتمعات أخرى – تتجاذبها أحلام وطموحات ، ورؤى ومساع واسعة غير منجزة ، وإحباطات من بينها الشعور بالاستيلاب ، وفقدان العدالة ، وزيف الواقع ، وطغيان الفئات الاجتماعية العُليا التى تتحكم بمسيرته عنوة ، وجملة من الأحلام التى تحال دائماً إلى هباء ، كما أنهم رأوا فى " دون كيخوته " ومادته الروائية ما يماثله فى عالمهم العربى بتشابكاته ، ومظاهره السطحية ، وتناقضاته العجيبة ، وكبته وفساده ، وتدخل وتنطع المنتفعين فيه والمتسلطين عليه ، وجدب الحياة الثقافية وسطحيتها .

فمن خلال استلهام الشعراء لشخصية " دون كيخوته " نلاحظ مدى التمرد ، على الواقع ، ورفضهم له ، والثورة عليه ، وربما الإحساس بالفشل فى تغييره ، لكن العجيب فى هذا الاستلهام هو إحساسهم بقيمة الدور الذى يؤديه كل منهم ، وقيمة الكلمة نحو عالم يتمنى كل منهم أن يتغير إلى الأفضل ، وهذا ما نجده متمثلاً فى شعر الشاعر بدر شاكر السيَّاب الذى كان يحمل آمالاً عريضة لبنى وطنه ، ولكل من يناضل مثلهم من أجل حياة فُضلى فى العالم ، ومن أجل حياة خالية من العوز ، والاستغلال ، حياة مفعمة بالحرية والخير ، وذلك لأن مصير الإنسان ليس مصيراً فردياً منعزلاً بل إنه جزء لا يتجزأ من المجتمع والتاريخ ، فالمجتمع إذا كان قد عم فيه الظلم والاضطهاد والدمار ، فإن فيه أيضاً قوى الخير والمحبة ، وهذا نجده يتجسد فى قصيدة " المومس العمياء " للشاعر بدر شاكر السياب ، ففيها تتحرك الأمور ضمن إطارها الموضوعىَ ، فالفرد يعيش ضمن هذا الإطار ، وفاجعته ليست خارجة عنه ، إنما هى جزء منه ، ما من شيء يحدث اعتباطاً وصدفة ، فالموت فى القصيدة ليس قدراً بلا علة ، إنه نتيجة ظرف اجتماعى معين ، والدعارة فى القصيدة ليست نزوة إنها ظاهرة اجتماعية ، فقد استطاع السيَّاب أن يحشد فى هذه القصيدة مجموعة من المتناقضات التى تحفل بها الحياة العربية والتى تشير إلى الفساد والضعف والانحلال ، وتتجلى روعة خيال السيَّاب فى هذه القصيدة عندما ينجح فى إحداث قصة مؤثرة بطلتها مومس امتد بها العمر فأصبحت عمياء غير مرغوب فيها ، يقول :

" ويح العراق ! أكان عدلاً فيه أنكِ تدفعينَ
سُهاد مقلتك الضريرة
ثمناً لملء يديك زيتاً من منابعه الغزيرة ؟
كى يثمر المصباحُ بالنور الذي لا تبصرين ؟ "
عشرون عامًا قد مضين ، وأنت غرثى تأكلينَ
بنيك من سَغبٍ ، وظمأى تشربينَ
حليب ثديك وهو ينزف من خياشيم الجنين !
وكزارع لهمَ البذورَ

وراح يقتلعُ الجذورَ
من جوعهِ ، وأتى الربيعُ فما تفتَّحت الزهورُ
ولا تنفَّستْ السنابل فيه ...
ليس سوى الصُخور
سوى الرمال ، سوى الفلاه
خُنْتِ الحياة ، بغير علمك ، فى اكتداحك للحياة!
كم ردَّ موتُك عنكِ موتُ بنيك . إنك تقطعين
حبل الحياة لتنقضيه وتضفري حبلاً سواه ،
حبلاً به تتعلَّقين على الحياةِ ، تضاجعينَ
ولا ثمار سوى الدموع ، وتأكلينَ ،
وتسهرين ولا عيون ، وتصرخين ولا شفاه ،
وغدًا بحبلك تُشنقين !
وغدًا . وأمس ... وألف أمس – كأنّما مسح الزمانْ
حدودَ مالك فيه من ماض وآت
ثم دار ، فلا حدود [1]

فالشفقة فى القصيدة لم تكن هدف الشاعر ، وإن كانت عنصراً قوياً ، وإنما كان هدفه أن يعرض للشقاء البشرى الذى لا مبرر له ، ويعرّى الظلم الواقع فى الدنيا ، فلو كان العدل يسود المجتمع لزال منه كل شقاء بشرى ، لكن البناء الاجتماعى غير عادل ، ولاسيما فى توزيع الثروة والسلطة ، لذلك فإن الشقاء منتشر بين الناس . فالقصيدة تحدثنا عن ابنة فلاح عراقى ، فقير قتل لأنه كان يسرق ، فغادرت الفتاة البريئة قريتها لتهرب من العار الذى أنزله بها أبوها ، لكنها تقع فى عار أفظع منه عندما احتل العراق جنود أجانب ، استباحوا جسدها ، فاتخذت البغاء رزقاً لها مدة عشرين عاماً ، هرمت بعدها وأصابها العمى ، ولم يعد يرغب فيها أحد . لكنها تنتظر الزبائن كل مساء فى غرفتها بالمبغى على ضوء مصباح زيت ، تدفع أجرته وهى لاشك سخرية مُرة أن لا تستطيع المومس أن ترى نور مصباح الزيت فى شقائها وعماها ، على حين يبدد العراق ثروة زيته الذى يستغله الأجانب فالمومس ليست وحدها ضحية المجتمع الظالم ، إنما هى صورة مصغرة لهذا الظلم إذ أن كل الأشخاص الآخرين فى القصيدة ضحايا مثلها ، بمن فيهم الشرطى الذى يحرس المبغى ليلاً ، والرجال الذين يقصدون المبغى ؛ يقول :

---

(١) بدر شاكر السيّاب : من قصيدة " المومس العمياء " ، ص ٢٦٩ ، جـ١ ، المجموعة الشعرية الكاملة ، دار المنتظر للطباعة والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٢م .

هم مثلها – وهم الرجال – ومثل آلاف البغايا
بالخبز والأطمار يُؤتَجَرون ، والجسدُ المهين
هو كل ما يتملكون ، هم الخطاة بلا خطايا
وهم السكارى بالشرور كهؤلاءِ العابرينَ
من السكارى ، بالخمور ... كهؤلاء الفاجرين بلا فجور
الشاربين – كمن تضاجع نفسها – ثمن العشاء
الدافنين خروق بالية الجوارب في الحذاء ،
يتساومون مع البغايا فى العشيّ على الأجور (١)

فالمومس فى القصيدة أصبحت رمزاً للأمة العربية التى تبيع شرفها القومى فى استهانتها بثرواتها ومواهبها وقيمتها التاريخية إزاء الغرب .

وهناك قصيدة أخرى للسيّاب بعنوان أنشودة مطر ، يتضح من خلال كلماتها أنها ليست تصويراً خارجياً لبعض مظاهر الحياة فحسب ، ولكن هناك التزامًا حقيقيًا نحو قضية كبرى وتعبير عن أهداف سياسية ، يقول :

أكادُ أسمعُ العراق يذْخُر بالرعودْ
ويخزنُ البروق في السّهول والجبالْ ،
حتى إذا ما فضّ عنها ختْمها الرّجالْ
لم تترك الرياح من ثمودْ
في الوادِ من أثرْ .
أكادُ أسمعُ النخيل يشربُ المطر
وأسمع القرى تئن والمهاجرين
يصارعون بالمجاديفِ وبالقلوع ،
عواصف الخليج ، والرعود منشدين :
مطر ...
مطر ...
مطر ...
وكم ذرفنا ليلة الرحيل ، من دموعْ
ثمَّ اعتللنا – خوف أن نلامَ – بالمطر ...
مطر ...
مطر ...

---

(١) بدر شاكر السيّاب : من قصدية " المومس العمياء " ، ص ٢٧٩ ، من الأعمال الكاملة ، دار المنتظر للطباعة والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٢م .

ومنذ أن كنَّا صغارًا ، كانت السماء
تغيمُ فى الشتاء
ويهطلُ المطر ،
وكلَّ عام – حين يعشبُ الثرى – نجوعْ
ما مرَّ عامٌ والعراق ليس فيه جوعْ
مطر ...
مطر ...

إن السيّاب يحس هنا بحركة التاريخ التى عصفت وتعصف بأرض الرافدين ، وينهى بدر شاكر السيّاب قصيدته الرائعة بتوقع هطول المطر على الأرض الخراب التى طالما شقى ويشقى أهلها يقول :

مطر ...
مطر ...
مطر ...
فى كل قطرة من المطر
حمراءُ أو صفراءُ من أجنَّة الزَّهرْ .
وكل دمعةٍ من الجياع والعراة
وكل قطرة تراق من دمع العبيدْ
فهى ابتسامٌ فى انتظار مبسم جديد
أو حُلمَة تورَدَّتْ على فم الوليدْ
فى عالم الغد الفتيّ ، واهب الحياة !
مطر ...
مطر ...
مطر ...
سيعشب العراق بالمطر ... " [1]

لقد سخر السيّاب من مجتمعه وانتقده بسخرية لاذعة ، وتهكم مرير ، وهو مجتمع يشبه مجتمع ثربانتس ، وما كان فيه من تناقضات ، وبطولات زائفة كانت مبثوثة فى الكنائس ورجالاتها المهيمنين على الحياة ، وهذا نجده فى قصيدة " الغيمة الغريبة " ، لبدر شاكر السيّاب أيضًا إذ يقول :

---

(١) بدر شاكر السيّاب : أنشودة المطر ، ص ١٠٧ ، من الأعمال الشعرية الكاملة ، دار المنتظر للطباعة والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٢م .

أتيتُها مساءا
معانقٌ .. أعانقُ الهواءا
هبَ من القطب على الظهيرة ،
مقبلاً عُيونها الخَواءا ،
كأنني كيشوت فى الأصيل
يركضُ خلف ظله الطويل
ويطعنُ السنابل الكسيرة
يَظُنها الأعداءا [1]

فالشاعر ينتقد المجتمع العربى بشكل جديد ، وأسلوب فريد ، تماماً مثلما فعل ثربانتس من قبل فى " الكيخوته " موضحاً لنا فى سخرية لاذعة مدى ظلم الحكومات فى مجتمعه .

إن تتبع الأعمال الأدبية وما تحتويه من إشارات لدون كيخوته لخير دليل على أهمية الرواية كمصدر فياض لإلهام الشعراء ، ولعل الدراسات إلى جانب الترجمات العربية للرواية قد فتحت باب الثقافة العربية على مصراعيه أمام نموذج " دون كيخوته " وساعدت الشعراء والكتّاب العرب أن يدعونه إلى منتدياتهم .

لقد تشعبت التفسيرات الخاصة بشخصية " دون كيخوته " ، وتعددت الآراء فهناك من يصفها بأنها مثال للجنون ، وهناك من يراها صورة للأحلام المنطلقة المنسابة ، وهناك من يرى أنها تجسيد للمثالية عندما تصطدم بما فى الواقع من فزع وشقاء ، وهناك من يراها مثلاً للنفس التى تحلم وتملك ، وتمتد إلى أبعد الآفاق ، ولكنها ترتد بعد ذلك إلى حدود ضيقة يقول الشاعر أحمد سويلم فى قصيدة " أمام تمثال دون كيشوت " :

وقفتُ ساعة فى ظل شجرة
وأنتَ .. ممسك بقبضة السيف
وعنق الحصان ... انظرُ فى عينيك حسرة الفرسانْ
حين يعودون بلا غنائم ... ولا سنانْ
هُيئ لى أن جوادك المسكين
يوشك أن يخور
من شدةِ الجوع ... ومن ترقب المصيرْ
وأن ذلك التابع خلفك
الآن يسير

---

(١) بدر شاكر السيّاب : قصيدة الغيمة الغريبة ، ص ٣٥٠ ، من الأعمال الشعرية الكاملة .

مكبّلاً بالوهم والقصور
وأن سيفك المسحور
صار بلا جدوى ولا نصير [1]

إن رمز الفارس المقدام المثالى ، قد تأصل بشكل واضح فى الأدب العربى ، مع كل ما يعنى ذلك من تلاؤمه مع ظروف كل فترة ، ومع متطلبات كل موقف ، ولا شك أن أحد مظاهر الأدب العربى الثرى فى نهضته الحديثة هو المشاركة فى الأعمال الأدبية العالمية . ولعل هذا ما حدا بأحد الباحثين أن يقول : " إن العالم العربى يعيش الآن مسيرة البحث عن الذات والتعايش مع الغير ، فالأدب العربى بوجه عام كثيراً ما يرى نفسه فى مثالية " دون كيخوته " ويتأخى معه " . [2]

إن استلهام هؤلاء الشعراء لـ " دون كيخوته " يؤكد لنا مدى عمق النظرة إلى الجوانب المتعددة للشخصية ، ودورها الذى يمثل دور النبوءة ، ليس اعتناءً بتفاصيل السيرة الكيخوتيه بقدر ما هو صعود على مستوى أيديولوجى يمثل عمق الرؤية فى التلقى الإبداعى ، هذا التلقى الذى يدفع جملة الشعراء إلى التوظيف التراثى ، لدفع شخصية دون كيخوته مستغلاً شهرتها لتنطق بقضايا العصر ، وتحيله إلى قضية يدافع عنها البطل الأسطورى محور الاستلهام فى العمل الشعرى ، حتى أن الشاعر ليدفع بمثالب الدون كيخوته ليعطى تيمات رمزية يشحنها ويغلفها بعاطفته الإبداعية ليكسب تعاطف المتلقى ، ويزيد منه فى اطراد متصاعد ، ويمكن القول إن أعلى مستوى وأكثره حضوراً فى الإبداع الشعرى المعاصر ، هو مستوى التحليل الأيدولوجى ، وإن بدا متضمناً هذا المستوى عدة مستويات أخرى مثل معلومات لها صلة بثربانتس وحياته ، ومستوى التفاصيل الخاصة وغيرها . وهذا ما وجدناه عند معظم الشعراء العرب ، فعلى سبيل المثال وجدنا أن شخصية " دون كيخوته " ظهرت بعمق وقوة خلال السبعينيات عندما أصبح رمز الكيخوته ملائماً لاستخدامه ، للتعبير عن التناقض الكامل بين الواقع والخيال ، فدون كيخوته فى الثقافة العربية ، كما هو فى الثقافات الأخرى نموذجاً للمثالية التى مُنيت بالهزيمة ، لأنها ابتعدت عن الواقع ، وهذا ما صوره الشاعر نزار قبانى فى شعره عندما قال إن حرب حزيران قد انتهت على حين ظل " دون كيخوته " حياً بأوهامه ومعه كل من كان مثله ؛ يقول :

حربُ حزيران انتهتْ
وضاع كلُ شىء
الشرف الرفيع

---

(١) أحمد سويلم : قصيدة " أمام تمثال دون كيشوت " ، من ديوان السفر والأوسمة ، بيروت ، ١٩٨٥م .

(٢) الكاتب : المواطن كين : نظرة أخرى للدون كيخوته ، انظر الموقع الإلكترونى :
http://maabe50megs.com

والقلاع ، والحصونْ
والمال والبنونْ
حربُ حزيرانَ انتَهتْ
كأنَّ شيئاً لم يكُنْ ..
لم تختلفْ أمامَنا الوجوهُ والعُيُونْ
محاكمُ التفتيش عادتْ ... والمفتِّشُونْ
والدونكشوتُيونَ ... مازالوا يُشخِّصُونْ
والناسُ من صُعُوبة البكاءِ يضحكونْ
ونحنُ قانِعُونْ ... بالحربِ قانعُونْ
والسِلْمِ قانعُونْ
بالحَرِّ قانعونْ ... والبَرْد قانعونْ
بالعُقْم قانعُون ... والنَسْل قانعُونْ
بكُلِّ ما فى لوْحِنا المحفوظِ فى السماء
قانعونْ ...
وكلَّ ما نملكُ أن نقولهُ :
" إنَّا إلى اللهِ لراجِعُون " . (١)

ففى الأبيات إشارة إلى هزيمة حرب حزيران ، حيث عبر الشاعر عن رفضه لكل ما يمثل رموز " دون كيخوته " السيئة ، بينما عبر عن ترحيبه لعودة كل ما هو حسن فى رموز " دون كيخوته " .

ولا يبعد كثيراً عن هذا المعنى الشاعر إبراهيم خليل ؛ إذ يقول :

إليك يا سيدتى
يا قمر الزمان
أجيءُ من مضاربى
تخبُّ تحتي فرسى
وفي يدي
رمحٌ بلا سِنان
وفي جرابي سيفي الصدئ ،
وتطلق الريح على مناكبي
عباءة حريرها مقصب

(١) نزار قبانى : قصيدة الممثلون ، من ديوان الأعمال السياسية الكاملة ، جـ ٣ / ص١١٨ ، ط . الثالثة ، منشورات نزار قبانى ، بيروت ، ١٩٨٣م .

من عبق الربيع في نيسان
أجئ يا سيدتي
يا قمر الزمان
محاذرًا برمحي المكسور
أطاعن الأشباحَ والظلالَ والفرسانْ .
منتصرًا أجيء
أقلبُ العينين في البيوت ،
والأزقة القديمةِ الجدرانْ
لعل شباكًا مضيئًا يحملُ البشارةْ
ينثرُ عطرًا عابقًا
ويُرسلُ البشَارةْ
من فُلةِ تمنحني الأمانْ
لعل شباكًا صغيرًا دونما ستارْ
يطل منه الوجهُ والعينانْ
تخبُ تحتي فرسي
مقتربا يا قمر الزمان
فتقذفين وردة إلىَ
" حمراء كالدهان "
تُعَطرين السَرج ، والفارس ، والدروب
ويزدهي بفوحكِ المكانْ [1]

ففى كلمة رمح بلا سنان فى الأبيات ، وسيفى الصدئ ، توحى بمدى الإنكسار الذى يعانيه الشاعر ، والذى يتوارى فيه خلف دون كيخوته ليستحضر تاريخه هو للمتلقى عن طريق استدعاء الشخصية الكيخوتة .

ويواصل الشاعر ويقول :

لعل شباكاً مضيئاً يحمل البشارة
ينثرُ عطرا عابقا
ويرسل البشارة [2]

دولوثينيا التوبوسية والمبدع العربى :

هنا يجدر بنا أن نتوقف بإزاء محبوبة دون كيخوته دولوثينيا التوبوسية والتى اتخذها المبدع العربى حبيبة له أيضًا ، ففى عصر دون كيخوته كان لابد للفارس أن يتخذ

(١) إبراهيم خليل : دون كيشوت ، فى الرأى ، ص ١١ ، ١٩٩٩ .

(٢) إبراهيم خليل : دون كيشوت " فى الرأى " ، ص ١١ ، الجمعة ١٩٩٩/٤/٩م .

له حبيبة يقدم لها لواعج القلب ، ونبل التضحية ، وسمو الأعمال ، من شجاعة خارقة وإقدام ، ونصرة للضعفاء والمظلومين ، يعذب النفس والجسد في سبيل إرضائها ، لذا بحث دون كيخوته عن فتاة لهذه الغاية ، فخطر له اسم قروية ، فاتخذها حبيبة له ، وسماها ربة الصون والجمال ، " دولوثينيا التوبوسية " ولفظة دولوثينيا اسم مشتق من الكلمة الإسبانية *Dulce* وهي تعنى الحلوة ، أى الحلوة التوبوسية وكلمة التوبوسية نسبة إلى قرية التوبوسو في إقليم " لامنتشا " وكان دون كيخوته غالباً ما يخاطبها بصوت مسموع ، سائلاً إياها حمايتها قبل الانخراط في المعارك ، أو الوقوع في المحن وهو يصفها بمفاتنها الخارقة ، التي تتجسد فيها الصفات السحرية التي لا يمكن تصوَرها للجمال ، كما يصفها الشعراء في معشوقاتهم : " فشعرها جدائل من ذهب ، وحاجباها قوسا قزح ، وعيناها شمسان ، وخداها وردتان ، وشفتاها من المرجان ، ويداها من العاج ، وبياض بشرتها من الثلج " .[1]

كذلك وجدنا المبدع العربي اتخذ دولوثينيا حبيبة له في الخيال على غرار دون كيخوته ، وناجاها وحكى لها عن بطولاته كى يمجد بطولاته باستلهام صورتها ويهديها أعماله البطولية ، لكى يحكى لها القاصى والدانى عن بطولات حبيبها ، وهذا ما نجده في قصيدة الشاعر إبراهيم أبو سنة فى قصيدته " دون كيشوت على فراش الموت " إذ يقول :

من نصفِ قرنٍ أو يزيدْ
وها أنا على فِراش الموتْ
مكبلٌ بالجرح والحديدْ
استعطفُ القضَاةَ والشهودْ
مستوحشٌ فى دولةِ البرابرةْ
عبرتُ فوق سيفي القديمْ
بحار هذا العالم العجوز
أودُ لو تسيلُ خُضْرَةُ النباتِ في الزمانْ
خرجتُ باحثًا عن الإنسان
وجدتُه فى عَين أجمل النِّساءْ
" دولسينة " البعيدة
حلمتُ بالجزر
طليقة تطوفُ بالبحارْ
بعالمٍ من الفرسانْ

---

(١) د. فيراسافيلفيا : النبيل البارع دون كيخوته دى لامانتشا ، انظر الموقع الإلكترونى : *http://maaber.50megs.com* ٢٠٠٦/١١/٢م

بالأمن للجميع والعدالة
بالحبِ سَافرًا بلا غلالة
حلمتُ لو وَضَعَتْ قرطبة
على تِلال نَجْمةِ خَضْراءْ
تطيرُ بين الظل والضِيَاءْ
ويكتبُ السَحَابُ فوق خدِها
أشعارَه الحمراءُ والصفراءْ
حلمتُ يا " دولسينة " الجميلة
بعالم أطفاله من الملائكة
نساؤه قلوبهن من ذهبْ
بكوكبٍ من الحدائق الفضيةِ الأوراقْ
يظل فى غصونها الثمرْ
على مدار العام (١)

وفى سبيل الحبيبة " دولوثينيا " لابد أن يتعرض البطل لألوان شتى من الأذى ، ويعد هذا الحب ضرب من الحب المستحيل ، وأن الحبيبة دائمًا بعيدة عن حبيبها ، يقول إبراهيم أبو سنة :

حلمتُ بالحمام
يرتاحُ آمنًا على أكتافنا
ويبتني أعْشَاشَه – إن شاء – فى ثِيَابنا
لكننى رجعت بالجراح
بالقهقهات الساخرة
بسيفي المكسور فى التراب
وأدمع غريزة فى أعين الجواد
تركت قرطبة
مدينة لا تعرف السعادة
مدينة أميرها الكذب
وأنت يا " دولسينة " البعيدة
مفقودة كالفجر فى الغابات
وها أنا أموتُ خلف البحر

(١) محمد إبراهيم أبو سنة : قصيدة " دون كيشوت على فراش الموت " ، الأعمال الكاملة ، القاهرة ، ١٩٨٥م .

مستوحشًا فى دولة البرابرة
فإن أتاكِ نعيى الحزين
لا تملئ عينيكِ بالدموع
لا تتركى النساء
يعولن فى جنازتي
وإنما يزفني الفرسان
وليصدح الغناء خلف النعش
فلست نادمًا
لأننى أفنيت عمري القصير
محاربًا من أجل عالمٍ نضيرْ
وأننَّى كوفئتُ بالجراحْ
فإننَّى أرى مطالعَ الصباحْ
على جبال الشرق
أرى السعادة المجنحة
تطيرُ فى سماء الغدْ
لتكتب اسمها
على جدران قرطبة [1]

كما وردت الحبيبة " دولوثينيا " فى نص الأديب المغربى ابن سالم حميش يقول : " مازالت صورة الكيخوتى تداهمنى ، وتستثير مخيلتى ، أتوهم أنى أتبعه فى زمرة من أحبته ، من جبل إلى آخر فى ربوع العرب ، وأتخيله يخاطب الزمرة قائلاً هنا فى هذا الربع يا أحبتى ، الجو حافل بالرؤى واللطائف ، علوى بديع لا سبيل فى ذلك إلى قطع الأنفاس عن مصاعدها ، وكسر السهام فى أقواسها إلا أن أضل أو أظلم ، إلا أن أبذر القبح الخسيس ، أعوذ من ذلك بالحبيبة " دولوثينيا " التوبسية ، لا كما هى بل كما توهمتها وأنشأتها نشأة أخرى " . [2]

---

(١) محمد إبراهيم أبو سنة : قصيدة دون كيشوت على فراش الموت ، الأعمال الكاملة ، القاهرة ، ١٩٨٥م .

(٢) بن سالم حميش : ميغيل دى ثربانتس ، الإبداع من داخل العزلة ، انظر الموقع الإلكترونى : *http://www.imezran.com* ٢٠٠٦/٥/١٣م

هكذا نجح الشعراء فى استحضار الصورة الملائمة للواقع العربى ، الذى يضعونه نصب أعينهم ، فلا يغيب عن ذهن المتلقى تاريخ الشخصية المُستلهمة بموازاتها بعصر المبدع مندمجاً مع عصر الشخصية . كما أن تأثير " الكيخوته " لم يقتصر على الشعر أو النثر فقط فى العالم العربى ، وإنما تجاوزه ليشمل فنوناً أخرى من الإبداع كالمقالات الصحفية التى وجدناها فى كتابات الصحافى المبدع محمد عيسى الشرقاوى ، خاصة فى مقالاته التى تحمل عنوان " حكاية سياسية " فى صحيفة الأهرام المصرية .(١)

كما استلهم الرسامون والنحاتون هذه الشخصية فى أعمالهم الفنية ، ونُظمت المعارض لهذه الفنون (الرسم والنحت) مثل المعرض الإفتتاحى الذى حمل عنوان " دون كيخوته فى خيال الفن الحديث " فقد عُرضت به العديد من اللوحات التى استقاها أصحابها من رمز " دون كيخوته " نذكر البعض منها : لوحة للفنان وليد الأغا بعنوان " أحبك يا دون كيخوتى " ولوحة الفنان منقذ سعيد " كُلنا دون كيخوته " وأخرى للفنانة عتاب حريبى بعنوان " المرأة عند دون كيخوته " ، وأخيراً لوحة " لامنتشا " منطقة دون كيخوته للفنان عصام درويش .(٢)

لاشك فى أن صورة " دون كيخوته الفارس الإسبانى المقدام مازالت قائمة ، أمام أعين الشعراء والكتّاب والفنانين ، ولازالت ساحات القتال تمتلئ بضجيج يُسمع عبر الطريق الذى سلكه فى رحلته ، والذى صار رمزاً سياحياً (*) للعديد من عشاقه .

---

(١) انظر : صحيفة الأهرام المصرية : الأعداد بتاريخ : ١٩٩٨/٢/٥م ، والعدد ١٩٩٩/٣/٢٠م ، والعدد ١٩٩٩/١٠/٢٣م ، والعدد ٢٠٠٣/٣/٢٢م ، والعدد ٢٠٠٤/٤/٢٤م .

(٢) انظر : دون كيخوته فى خيال الفن الحديث ، دار نشر دون كيشوت للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ص ٤٢ ، ص ٥٠ ، ص٦٠ ، ص ٧٢ ، ص ٧٤ .

(*) وضعت إسبانيا دليلاً سياحيا وخرائط تبين الطريق الذى سلكه بطل رواية " دون كيخوته " ، فمن القرى والمدن فى منطقة لامانشا التى سلكها بطل الرواية .

١- المانشا *(Alamancha)* التى كان يسميها العرب *(Almanxa)* وربما تعنى المغنى ، وهى تقع قريبة من مدينة البسيط *(Alpasit)* والقلعة قائمة على صخرة مرتفعة وكأنها منارة فى حالة صلاة تحيط بها غابة من الأشجار مع مجموعة كبيرة من المساكن ، ولها برج مربع الشكل عالى البنيان ومنه يمكن الصعود عبر سلم داخلى إلى شرفاته التى نطل منها على جميع أطراف المنطقة بمناظرها ووديانها الخلابة المناظر .

وفى الخاتمة لعل إحساساً داخلياً يجعلنا نشعر بالتماهى مع هذا الفارس المقدام من حيث أننا نرفض أن نقبل الواقع كما هو وأن نحاول جاهدين تغيير العالم ، عالمنا لكى يصير أكثر تطابقاً مع أحلامنا وأفكارنا ومبادئنا ، تلك هى الشجاعة العظيمة التى ينفخها فينا " دون كيخوته " شجاعة أن نكون أحراراً قبل أى شيء آخر .

٢- مدينة " جين جيا " *(Gen Gea)* واسمها العربى ربما يعنى " عين جالوت " حيث لازالت آثارها القديمة بينة .

٣- مدينة " ثيودادريال " *(Ciudad Real)* وفيها قلعة " رباح " أنشأتها العرب كقلعة عسكرية بأمر من الخلافة فى الأندلس ، وأصبحت بعد ذلك خطاً دفاعياً للمسلمين ضد هجمات الإسبان التى أخذت تزداد بعد سقوط طليطلة سنة ١٠٨٥ ، والقلعة مربعة الشكل لها جدران عالية تنتهى بممرات وشرفات ، ويمكن الوصول إليها عبر سلم داخلى ، كما يلاحظ برج كبير لازال محتفظاً بصورته القديمة ، ويتكون من عدة طوابق فارغة ولكن يوجد فى بعضها نوافذ جميلة مع ساريات ، وهو طراز عربى يشاهد فى الأبراج الإسلامية وخاصة فى برج سان ميغيل *(San Miguel)* فى مدريد .

٤- مدينة " الحمراء " *(Alhamra)* تقع شرق " ثيوداد ريال " *(Ciudad Real)* كانت رومانية الأصل ولكن العرب حصنوها ووسعوها وسموها الحمراء لأن أراضيها حمراء .

٥- طليطلة *(Toledo)* كانت عاصمة القوط سابقاً والعرب لاحقاً ، وأصبحت بعد ذلك من أهم المراكز الثقافية الأندلسية ، كما اشتهرت بالعلوم والترجمة وكانت مركزاً للأديان الثلاثة .

٦- الكالادى إينارس *(Alcala de Hinares)* : هى اليوم مدينة عامرة تقع شرق مدريد على حوالى ٣٥ كم فى وسط نهر هينارس والذى كان يسمى نهر وادى الحجارة ، وهى أرض منبسطة خصبة تكثر فيه الزراعة والرعى وبعض الغابات الصغيرة على ضفاف النهر ، ولما جاء العرب أسسوا فى هذه المنطقة حامية عسكرية مهمة على مرتفع من شرق المدينة الحالية وأطلقوا عليها قلعة عبد السلام .

انظر : د. كاظم شمهود طاهر : العمارة الإسلامية فى إسبانيا جـ ٢ / ص٧٠ ، ط. الأولى ، ٢٠٠٥م .

المراجع والمصادر

أولاً : المراجع العربية :

١- إبراهيم خليل : دون كيشوت ، الرأى ، ١٩٩٩ .

٢- أحمد سويلم : أمام تمثال دون كيشوت ، ديوان ، السَّفر والأوسمة ، بيروت ، ١٩٨٥م .

٣- د. أحمد هيكل : حكاية الفارس والحصان ، في أصداء الناي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

٤- د. أرشد توفيق : " دون كيشوت " ، فى النجمة والدرويش ، الموصل ، ١٩٩٧م .

٥- بدر شاكر السيّاب : الأعمال الشعرية الكاملة ، بيروت ، ٢٠٠٢م .

٦- جليل القيسى : أحلام الفارس الحزين " دون كيشوت " ، ١٩٧٤م .

٧- د. حسين مؤنس : النفس الأندلسية فى كتابات ثربانتس ، القاهرة ، مكتبة الإنجلو المصرية ، ١٩٥٧م (الألف كتاب ١٣٣) .

٨- د. رجاء النقاش : لماذا نصادر دون كيشوت في أصوات غاضبة ، دار الآداب بيروت .

٩- د. رفعت عطفة : ميغل دي ثربانتس : دون كيشوت دِلامانتشا ، المقدمة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢م ، دمشق .

١٠- د. سليمان العطار : الشريف العبقرى دون كيخوته دى لامنتشا ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٢م .

١١- د. سيد حفنى : الفارس فى الملاحم العربية ، مجلة المعهد المصرى للدراسات العربية والإسلامية بمدريد ، العدد (٢٧) ، ١٩٩٥م .

١٢- د. الطاهر أحمد مكى : الأدب المقارن ، أصوله وتطوره ومناهجه ، دار المعارف ، ١٩٨٧م.

١٣- د. عادل الغضبان : دون كيشوت ، دار المعارف ، ١٩٩٣م .

١٤- د. عبد الرحمن بدوى : دون كيخوته ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٥م .

١٥- د. عبد العزيز الأهوانى : السيد العبقرى دون كيخوته دى لامنتشا : ترجمة : د. عبد العزيز الأهوانى ، مراجعة : د. حسين مؤنس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

١٦- د. غبريال وهبه : دون كيخوته بين الوهم والحقيقة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٩ .

١٧- د. كاظم شمهود طاهر : الثقافة الإسلامية لها بصمات فى رواية دون كيخوته : انظر الموقع الإلكترونى : ٢٠٠٥/٤/٢٩
http://www.islamicotourism.com
١٨- د. ماريا خيسوس بجيرا : " دون كيخوته فى الأدب العربى " ، مجلة الناقل ، تصدر عن كلية اللغة ، جامعة الكبومبلوتنسى بمدريد ، ١٩٩٩م .
١٩- محمد إبراهيم أبو سنة : " دون كيشوت على فراش الموت " ، الأعمال الكاملة ، القاهرة ، ١٩٨٥م .
٢٠- محمد رضا كحالة : كشاف معجم المؤلفين لكحالة ، د. فراج عطا سالم ، ق ١ ، الأعلام ، جـ٤ / ص ٢٠٤٣ ، الرياض ، ١٩٩٩م .
٢١- محمد الفيتورى : " دون كيشوت الثاني " ، ديوان اذكريني يا أفريقيا ، ١٩٧٠م .
٢٢- محمد القيسى : منزل دون كيشوت ، من ديوان " منازل فى الأفق " ، الحائز على جائزة ابن خفاجة الأندلسى للعام ١٩٨٤م ، والتى يمنحها المعهد الثقافى الإسبانى العربى فى مدريد .
٢٣- د. محمد مندور : دون كيخوته " نماذج بشرية " ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٤م .
٢٤- د. محمود أمين العالم : " دون كيشوت وثربانتس الرمز الإنسانى العميق فى " الإنسان موقف " ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار قضايا فكرية ، ١٩٤٤م .
٢٥- د. محمود صبح : د . خوليو كورنتيس : دون كيخوته في القرن العشرين ، منشورات المعهد الإسباني العربي للثقافة ، مدريد ، ١٩٦٨م .
٢٦- د. محمود على مكى : القصة الواقعية فى الأدب الإسبانى المعاصر ، عالم الفكر ، المجلد الثالث ، العدد الثالث ، ١٩٧٢م .
٢٧- د. مصطفى كامل الشيبى : تأثيرات عربية فى رواية دون كيخوته ، جريدة الشرق الأوسط ، بتاريخ ٢٠٠٢/٢/١٢م . انظر الموقع الإلكترونى :
http://www.asharq al-awsat.com
٢٨- د. نجيب أبو ملحم : " ثربانتس أمير الأدب الإسباني " ، تطوان ، المغرب ، ١٩٤٧م .
٢٩- نجيب سرور : فارس آخر الزمان ، مجلة الأقلام ، العدد (١١) ، ١٩٧٥م .
٣٠- نزار قبانى : قصيدة الممثلون ، من ديوان الأعمال السياسية الكاملة ، ط . الثالثة ، منشورات نزار قبانى ، بيروت ، ١٩٨٣م .

٣١- د. هانى الراهب : دون كيشوت ، من مجموعة قصص " جرائم دون كيشوت " ، دمشق ، ١٩٧٨م .

٣٢- د. هانى العريان : " ثربانتس ومصر " ، ثربانتس بين شاطئين ، مجلة كلية الآداب ، جامعة أليكانتى ، ٢٠٠٦م .

٣٣- يوسف الخال : قصيدة " رسالة إلى دون كيشوت " ، من ديوان رسائل إلى دون كيشوت " ، بيروت ، ١٩٧٩م .

ثانياً : الموسوعات :

١- موسوعة أعلام العرب المبدعين فى القرن العشرين ، جـ ٢ / ص ١١٠٠ ، ط. الأولى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ٢٠٠١.

ثالثاً : المواقع الإلكترونية :

١- د. بن سالم حميش : ميغيل دى ثربانتس ، الإبداع من داخل العزلة ، انظر الموقع الإلكترونى : ٢٠٠٦/٥/١٣م *http://www.imezran.com*

٢- د. بلين خواريث : أربعمائة عام على ولادة الفارس دون كيشوت : " لغته هويتنا ونحن أبناؤه " انظر الموقع الإلكترونى : ٢٠٠٦/٤/١٣م *http://www.imezran.com*

٣- د. صالح العرجان : دون كيخوته أعظم رواية فى التاريخ ، انظر الموقع الإلكترونى : ٢٠٠٦/١٢/١م *http://www.shthaaya.com*

٤- د. صلاح فضل : التجريب الروائى فى الأدب العربى ، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب ، انظر الموقع الإلكترونى *http://www.almadapaper.com*

٥- د. عاصم الزهيرى : دون كيخوته فى مئويته الرابعة ، انظر الموقع الإلكترونى : ٢٠٠٥/١/٢٣م *http://www.fdaat.com*

٦- د. فيراسافيلفيا : النبيل البارع دون كيخوته دى لامنتشا ، انظر الموقع الإلكترونى : ٢٠٠٦/١١/٢م *http://maaber.50megs.com*

٧- د. كاظم شمهود طاهر : الثقافة الإسلامية لها بصمات فى رواية دون كيخوته ، انظر الموقع الإلكترونى : ٢٠٠٥/٤/٢٩ *http://www.islamicotourism.com*

٨- د. كامل مصطفى الشيبى : تأثيرات عربية فى رواية دون كيخوته ، جريدة الشرق الأوسط ، انظر الموقع الإلكترونى : ٢٠٠٢/٢/١٢م *http://www.asharq al-awsat.com*

٩- د. محسن الرملى : غارودى يبحث عن دين لثربانتس ، انظر الموقع الإلكترونى : *http: www.alwah.com*

١٠- د . محسن الرملى ، الأثر العربى فى دون كيخوته ، موقع الموقع الإلكترونى : ٢٠٠٦/١١/١٥ *http://www.droob.com*

١١- الكاتب : المواطن كين ، نظرة أخرى للدون كيخوته ، انظر الموقع الإلكترونى : *http://maabe50megs.com*

١٢- هاتف الجنابى : دون كيخوته ، العدد ٩٨٨٥ ، انظر الموقع الإلكترونى : ٢٠٠٥/١٢/٢١م *http://www.awsat.com*

١٣- هدى أنتينا : ثربانتس وشكسبير ، اعترافات متبادلة ، انظر الموقع الإلكترونى : *http://tawra alwehda.gov.sy.*

رابعاً : المراجع الأجنبية

1- Abdel–Karim, Gamal: "la evidencia islamico en la obra de Cervantes, analisis y valoracion – de Cervantes y el islam, minsterio de cultura, 2006.

2- Al–Rahib, Hane: "Don Quijote en un relato", al menara, 4 (1973)- 199-27.

3- Fauaz Simon, Fernando: tres relatos moriscos en Don Quijote. revista de filolgia y linguistica de la universidad de costorica– Vol. XII – Enero – Junio, 19981 N- 1.

4- Lopéz–Baralt, Luce: "le calam supremo (al – qalam – al ala) de cide hamete benengeli" sharq al – andalus, estudios madéjares y moriscos, Alicante, 16-17 (1999-2002), P. 179-190.

5- Makki, Mahmud Ali: "la cabecera de la mesa", revista al Qantara XIX, 2 (1998), PP. 337-342.

6- Peréz Saez, Rosario: el elemento arabe en la obra de Cervantes, Don Quijote de la mancha, Boletin de la asociacion española de de orientales Año XXVI- 1988.

7- Rubiera, Maria Jesús: Cervantes entre las dos orillas, universidad de alicante, 2006.

8- Soledad Carrasco, Maria: "personajes moriscos en la obra de Cervantes 11 jornadas de estudios (14-15-16 de Junio de 2001), Hornachos, 2002, P. 31-44.

9- Maria J. Viguera, "la arabización de Don Quijote (en la literatura árabe moderna), en varios Autores, Don Quijote, Ammán, 1999, 1-19.

- Maria J. Viguera, " Don Quijote en andadura egipcia", Trd. e introd. De 4 ensayos contenpráneos, Almenara, 7-8 (1975) 143-177.